المحتال رقم ١

تأليف الكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبلان

تعريب

الأستاذ شفيق أسعد فريد

مطبعة مجلة روايات الجيب

القسم الأول

المحتال رقم ١

فى صباح أحد الأيام دعا مارتن ديل خادمه بلـكنز ، وشرع يلقى عليه محاضرة طويلة فى الحياة وخشونتها . ونضوبها من كل مايثير . والخادم يصغى اليه باحترام ووجوم . . وبعد قليل سأله : هل فهمت ما أعنى يابلـكنز ؟

فازدرد الخادم لعابه . . وأجاب فى اضطراب : نعم ياسيدى .

فضحك ديل . . وهتف : أؤكد لك انك لم تفهم كلمة واحدة مما قلت . . انك حمار يابلـكنز . وهذا أحد الاسباب التى تدعونى الى ابقائك فى خدمتى . . أظن أن جرس الباب يدق . فاذهب وانظر من الطارق ، فاذا سألك عنى فقـل له انى ملازم الفراش . فانسحب بلـكنز من الغرفة . وهو يحمـد الله على النجاة من تصديع رأسه . . بينما تحول ارسين لوبين الى نافذة غرفة مكتبـه الأنيقة وراح يطل منها وهو يشعر بانقباض . وضيق فى الصدر . لعـله كان راجعا الى سوء حالة الطقس فى ذلك اليوم .

وبعد هنيهة عاد بلـكنز . . وقال : توجد سيدة ترغب فى مقابلتك ياسيدى

ـــ انك مخطىء يابلـكنز . . فان السيدات لا يطلبن زيارة الرجال فى مثـل هذه الساعة المبـكرة من الصباح .

ـــ لـكن الساعة الآن الحادية عشرة والنصف ياسيدى

فتذكر ديل أنه قضى ساعة وهو ممدد فى الفراش يرقب السحب السوداء وهى تتجمع فى الأفق . وعندما نهض من فراشه كانت الساعـة قد أشرفت على الحادية عشرة حقا . قال بعد فترة صمت : مهما يكن . . فاننى لا أريد مقابلة أحد . وخاصة السـيدات . . أظن أننى طالمـا قلت لك يابلـكنز أن النساء كثيراً ما كن سببا فى القضاء على الرجال . كالحروب . والأوبئة . ولـكنى على كل حال لن أسمح لهن بالقضاء على .

فقال بلـكنز بهدوء : بالطبع ياسيدى

فصاح سيده بضجر : بالطبع ياسيدى ! ! من أين لك هذه الثقة المطلقة ؟

— ألم تقل أنت ذلك منذ لحظة ؟

فضحك ديل برغم حنقه . . وسأل : وما اسم السيدة ؟

— الآنسة أولجا واينفليت — وماذا تريد ؟

— انها لم تنبئنى برغبتها . . ولكن يبدو انها مهتمة جدا بمقابلتك

فتأمله ديل مليا . . ثم أجاب : حسنا . . قل للآنسة واينفليت انى سأقابلها بعد قليل . فانصرف الخادم . . ومضى لوبين الى مخدعه ، فارتدى ثيابه على عجل . وأسرع الى غرفة الجلوس .

كانت الآنسة واينفليت واقفة فى انتظاره . وعندما شد لوبين على يدها راح يتأملها باهتمام . فاذا هى أنيقة الهندام ، طويلة القوام ، تتجاوز سنها العشرين . . ذهبية الشعر ، دقيقة الأنف والفم ، تفصح نظراتها الجذابة عن العناد والتحدى .

وقالت الفتاة مفتتحة الحديث : لست واثقة من أنك ستستطيع معاونتى يامستر ديل . . انى أبحث عن معلومات خاصة بشخص معين . . شخص أعتقد أنك تعرفه تمام المعرفة .

فقال وقد شعر بدافع خفى ينبهه الى خطر قريب : أحقا ؟ وما اسمه يا آنسة ؟ .

فحملقت الفتاة فى وجهه نحو برهة .. ثم أجابت :

— ان الغموض والابهام يحيطان باسمه الحقيقى .

وضاقت عيناها .. ثم أردفت : اسمه أرسين لوبين

نطقت الفتاة بهذه العبارة فى لهجة ذات مغزى .. فساور ديل القلق .. وحاول ان يبدده . فاخرج علبة لفائفه ، وأشعل لفافة وهو يقول : أتسمحين لى بالتدخين شكرا لك ! ومرت اللحظة الدقيقة ، وراح بدوره ينعم النظر الى وجه زائرته .. ثم أردف :

— لماذا بحق السماء جئت تطلبين منى معلومات عن هذا الآفاق ؟

— أحسب انك سمعت عنه . . أليس كذلك ؟

— بالطبع . هل من امرىء لم يسمع عنه ؟

— ألا تعرفه ؟! أعنى الا تعرفه شخصيا ؟

فاجابها بلهجة حاول ان يجعلها تشف عن التانيب : انى أصادق وأتعرف الى

كل الطبقات ، ولكنى لم أفكر يوما فى توثيق الروابط بالخارجين على القانون .

فقالت ساخرة : انك لم تجب عن سؤالى يامستر ديل ؟

فراح لوبين يعجب ويتساءل عن الهدف الذى ترمى اليه .. وهل تعرف كما يعرف سمرز وأشخاص قلائل ان أرسين لوبين ومارتن ديل هما شخص واحد . . وان كان ذلك فمن أين لها هذه المعرفة ؟

قال بعد قليل من الصمت : لنفرض جدلا انى أعرفه . . فماذا يهمك انت من معرفتى له ؟ — انى أسعى للعثور عليه

— وهلا تعتقدين أنك قد تستطيعين العثور عليه بغير مساعدتى ؟.

فابتسمت ، وأجابت فى تهكم : إننى أشك فى هذا . . هل لك ان تعطينى لفافة تبغ ياسيدى ؟ .

فقال وهو يقدم لها علبة اللفائف : الف معذرة يا آنسة .

صاحت وهى تتامل العلبة : يالها من علبة ثمينة ! هل تسمح لى بالتفرج عليها؟

— بكل ارتياح يا آنسة . . تفضلى .

وتناولت الفتاة العلبة ، وشرعت تتأملها باعجاب .. ثم قالت وهى تشير الى موضع القطعة المعدنية المستطيلة التى تمنع اللفائف من السقوط : يبدو ان ثمة شيئا مفقودا منها !

— نعم . . لقد تحطم الحاجز المعدنى الدقيق ، وفقدمنذ بضعة أيام . .

— اليس ذلك مما يؤسف له ؟ . متى حدث هذا على وجه التدقيق

فبدأت الريبة تساوره . . ولكنه أجاب : أوه . . منذ أسبوعين تقريبا . . وقدلاحظت ضياعه وأنا املأ العلبة باللفائف .. أما متى ضاع فلا أعلم تماما

— إذن فانت لا تعلم أين فقدته .

فقال وهو يرفع حاجبيه دهشاً : كلا .. لكن من السهل عمل سواه .

فأعادت الفتاة العلبة اليه وهى تقول :

— شكراً لك . . لا أحسبنى بحاجة الى لفافة تبغ الآن.

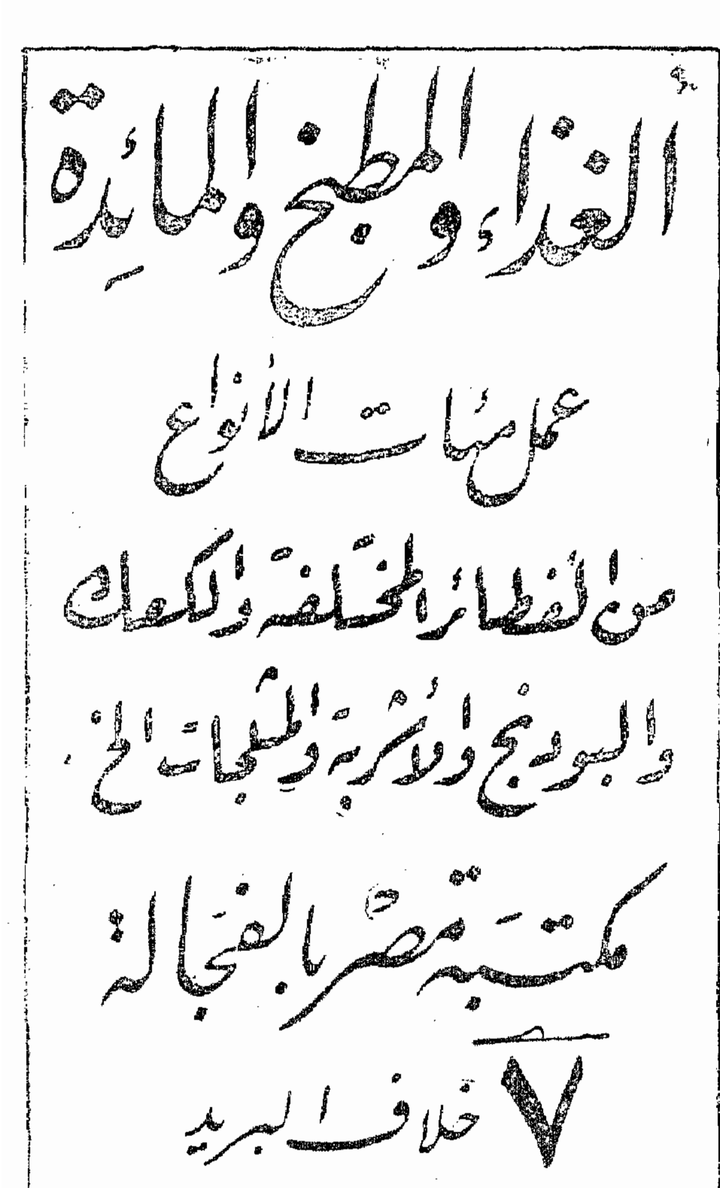
فاردف محيراً : على رسلك . . ولكن .. كنا نتحدث عن ارسين لوبين . . فما الذى تعرفينه عنه يا آنسة ؟

— لا أكثر من الاشاعات المنتشرة . . لقد كنت موجودة فى أحد المنازل

منذ وقت قريب حيث مثل أرسين لوبين احدى مهازله « الجهنمية »

فقال ديل بعد قليل من التردد : هذا أمر يبعث على الاهتمام بغير شك . . وأين كان ذلك ؟

— فى قصر آل ستابليتون .. ولعلك تعلم انهم أقاموا حفلة طريفة منذ حوالى أسبوعين .. ففى الصباح التالى للحفلة اكتشف أصحاب الدار ان الخزانة قد فتحت أثناء الليل ، وسرقت منها بعض محتوياتها . . وعثروا على البطاقة التى اعتاد أرسين لوبين أن يتركها على مسرح مغامراته موضوعة بالقرب منها ، وقد جاء فيها أنه على استعداد لاعادة المسروقات اذا تبرع صاحبها بعشر قيمتها لاحدى الجمعيات الخيرية .. ألم تر احدى هذه البطاقات يامستر ديل ؟



— لقد اطلعنى صديق المفتش سمرز عليها فى احدى المناسبات .

فرمقته بنظـــرة ساخرة . . واستطردت : مهما يكن ، فان البطاقة لم تكن الدليل الوحيد الذى خلفه لوبين وراءه هذه المرة

فهتف ديل : أحقا ؟ ! وماذا عساه ترك أيضا ؟

— شيئا تصادف ان رأيته ملقى فوق الأرض قبل وصول البوليس مباشرة ، فالتقطته ، واحتفظت به لنفسى .. أحسب ان هذا العمل مما لا يقره العرف أو القانون ، ولكننى لم أستطع ان أقاوم الاغراء الذى تملكنى فى تلك اللحظة . . وبالطبع لم أكن واثقة من أن هذا الشىء قد سقط من

أرسين لوبين ، لأنى سمعت أنه لا يترك خلفه أى أثر يدل عليه ، ولكننى أحسست بنشوة غريبة عندما جال بخاطرى أن هذا الشيء قد يكون الأثر الوحيد الذى تركه لوبين فوق مسرح احدى مغامراته منذ بدأ حياته الحافلة بالاعيبه ومقالبه

فقال ديل وهو يحرص على اخفاء اهتمامه : وماذا كان هذا الشيء ؟

ففتحت الآنسة واينفليت حقيبتها اليدوية وأخرجت منها قطعة مستطيلة من الفضة الرقيقة كثيرة الثنيات . وأجابت ، وهى تعرضها على ديل من بعد :

— هذا هو الدليل الذى عنيته . وأسقط فى يد ديل ، وراح يلعن نفسه على اهماله ، الذى جعله تام العجز حيال هذه الفتاة .

واستطردت الفتاة ، وهى ترمقه بنظرة تطفح سخرية :

— يبدو أنه يناسب علبة لفائفك تماما.

فقال وهو لا يكاد يتمالك جزعه : ربما ! هل تسمحين لى برؤيته ؟

فضحكت ، وأعادت الحاجز الفضى الرقيق الى حقيبتها . . وأجابت :

— لم يحن الوقت بعد . . قد أهديه لك فى احد الأيام .. وأما الآن ، فأرى ان تخبرنى كيف أستطيع الاتصال بارسين لوبين

وتالقت عيناها ، واشتدت حيرة ديل وقلقه .. وقال :

— قد أستطيع نقل رسالة له اذا شئت . . فماذا تريدينى على ان أنبئه ؟

— أريد ان أعهد اليه بمهمة خاصة سرية . . ولكن لا بأس من الركون اليك لحلها اليه . . انها مهمة دقيقة تحتاج الى ذكائه الخارق . . ولا أعتقد ان هناك من يستطيع سواه ان يقوم بها على الوجه الأكمل .

— وما هى هذه المهمة ؟ .

فقالت الفتاة ببساطة : السطو على احدى الخزائن .

فشهق ديل . . ثم صاح : أهذا كل ما تبغين ؟ ! سرقة تافهة ؟ ! لكن حدثينى يا آنسة . . ألا تعلمين انه اذا نزل لوبين على ارادتك . . وحقق لك أمنيتك ، فانك ستصبحين شريكته فى الجرم أمام القانون ؟

— ولكنى لا أريد غير شيء تافه من هذه الخزانة . . شيء تافه جداً

فقال ديل باصرار : السرقة هى السرقة سواء كان المسروق بنساً واحداً أو مليونا من الجنيهات . — على كل حال ، أنا واثقة من أن لوبين لن

يقيم لذلك أى وزن ، فقد تولى كثيرا من امثال هذه المهام ونجح فيها تماما .. فهل لك فى ان تبلغه رسالتى ؟

فحدق ديل فى وجه زائرته الشاذة . . ثم انفجر ضاحكا . . وأجاب :

— سأحاول ان أتصل به .. لكن أين هى الخزانة التى تريدين منه سرقتها ؟

— فى قصر آل ستابليتون فى بريار كليف

فهتف لوبين ، وهو ينظر الى الفتاة مشدوها : ماذا تقولين ؟ يسرق الخزانة للمرة الثانية ؟ — نعم . . ثانية . . سيكون من السهل عليه ان يعيد الكرة ، بعد ان أداها مرة من قبل .. ثم ان آل ستابليتون لم يعودوا يحتفظون بشيء نفيس فى الخزانة بعد ان سرقت منذ أسبوعين ، فقد كان لهم من الحادث درس نافع ، وعلى هذا فانه لن يخطر ببالهم ان يشددوا الرقابة عليها . . أنا واثقة تماما . ان لوبين لن يجد أية صعوبة فى أداء هذه المهمة .

لاذ ديل بالصمت ، وراح يتأمل الفتاة . . فرأى تبدلا بينا قد طرأ على سحنتها منذ دخلت الغرفة . . كانت الابتسامة لا تزال تعلو شفتيها ، ولكنه أدرك انها ابتسامة مفتعلة تحجب خلفها ثورة من العواطف المتناقضة ، دلت عليها نظرة القلق والتلهف التى ظلت تتألق فى عينيها .

بعد هنيهة قال ديل غير مصدق : واذا لم يكن فى خزانة آل ستابليتون شيء نفيس ، فماذا سيسرق لوبين بحق السماء ؟

— ثم شيء مازال موجودا فى الخزانة . . أو على الأقل هذا ما اعتقده .. فاننى لا أعلم أين يستطيع مستر ستابليتون إخفاء هذا الشيء . . هو لايجرؤ على وضعه فى خزانة الأمانات خوفا من ان تعثر عليه زوجته ، وهو أمر يعمل على تحاشيه جهد طاقته . . انه شيء تافه ، لايهم أحدا غيرى ومستر ستابليتون .. وعلى فكرة ان مستر ستابليتون وصى على . .

فرفع ديل حاجبيه دهشاً ، ولكنه لم يعر هذا النبأ أية أهمية ، إذ كانت المهمة العجيبة التى تسأله الفتاة ان يتولاها ارسين لوبين مستحوذة على كل تفكيره

قال بهدوء : فى المدينة لصوص كثيرون بوسعهم ان يؤدوا هذه المهمة بنجاح فلماذا لم تعهدى بها الى أحدهم ؟

فهزت رأسها الجميل سلباً . . وأجابت : اننى لا أستطيع ان أثق بغير أرسين

لوبين فهو وحده موضع ثقتي وتقديري . . وفوق ذلك ، فان مهمتى لن تدر على مؤديها شيئا يذكر . . ولن يقبل لص السطو على خزانة ليعود منها خاوى الوفاض وأما لوبين فرجل يستهويه الشاذ من الأمور . فهو لن يحجم عن تحقيق أمنيتى

— أشكرك يا آنسة .. أعنى اشكرك بالنيابة عن ارسين لوبين . . ولكن هناك صعوبة واحدة ، وهى اننى سمعت من مصدر موثوق به انه — أى لوبين — يعتزم ان يطلق اللصوصية عما قريب . .

فتهلل وجهها بابتسامة خفيفة . . وهتفت : أحقا ؟ ألا تعتقد ان فى استطاعته التخلي عن هذا القرار ولو مؤقتا ؟ ! ان هذه المسألة تهمنى كل الأهمية

فأومأ ديل برأسه مفكراً .. وأجاب : بل اننى واثق من انه سيضرب بقراره عرض الحائط عندما يرى وجهك الفاتن يا آنسة واينفليت . . على العموم . . سأحاول ان أقنعه بالقيام بهذه المغامرة ، والآن ، ماذا تريدين من خزانة ستابليتون ؟

— سوف تضحك ملء شدقيك عندما انبئك بما أريد ، ولكن ثق ان المسألة ليست أضحوكة كما تبدو لأول وهلة بل هى خطيرة جداً . . اننى أسعى للحصول على بطاقة بريد — بطاقة . . . . ماذا ؟

وضحك ديل فى الواقع ملء شدقيه كما قالت ولم يستطع ان يكتم دهشته . . فلما كررت الفتاة انها بطاقة بريد .. لم يسعه إلا ان يطيل التحديق فى وجهها ، وقد خيل اليه انها تعبث به ، ولكن لهجة الفتاة كانت تبعث على الاعتقاد بأنها تعلق على هذه البطاقة أهمية عظمى

— واذا فرض ان لوبين قد قبل . . فكيف سيتسنى له ان يفرق بين هذه البطاقة مما عداها ؟ — ان عليها طابعا وخاتما فرنسيين .

— هل أنت من هواة طوابع البريد يا آنسة واينفليت ؟

فابتسمت وأجابت : أوه ؟ . كلا . . اننى من هواة التجارب .

وتلاشت الابتسامة فجأة عن شفتيها . واستطردت بلهجة رزينة :

— قل لى انك ستقوم بهذه المهمة يامستر ديل . . أرجوك !

فهز ديل كتفيه . وقال باصرار : أما أفصحت قليلا يا آنسة ؟

— كلا . . يؤسفنى أن أقرر لك ان هذا مستحيل الى أن استحوذ على البطاقة على الأقل . فلو أنى أفصحت لك الآن عن الغرض . فقد يقضى ذلك على كل شىء

— أهى الكتابة المسجلة على البطاقة التى تجعل لها هذه الاهمية العظمى ؟

— كلا . . صحيح أن الكتابة من الأهميـة بمكان . . ولـكنها ليست كل شىء . . وبهذه المناسبة . لا بأس من أن أنبئك بان الكتابة المسجلة فوق البطاقة كتابتى . فاطال ديل النظر الى وجهها . ولـكنه لم يستطع أن يصل الى حل مقنع لهذا الغموض والابهام .

قال : سأحاول على كل حال أن أقنع ارسين لوبين بالاستجابة الى ماتريدين

فقالت وقد تألقت عيناها : انني واثقة من أنك قادر على اقناعه .

فقال مؤكدا : سأستعين بكل ما تعلمته وحذقته من ضروب الاقناع لـكى أقنعه . والتقطت الفتاة حقيبتها ، وهرولت من الغرفة على عجل فوقف ديل يرقبها من النافذة حتى اختفت عن ناظريه . فقال لنفسه :

— بديع يامسيو ارسين لوبين . . ما الذى عقدت عليه العزم بعد هذا ؟ .

((•))

على الرغم من العداوة المستحكمة التى كانت بين المفتش سمرز وارسين لوبين . كانت الصداقة الوطيدة تسود علاقات المفتش بمـارتن ديل . . وكثيرا ماجتمعا فى أحد المطاعم الهادئة ، حيث يتبادلان الاحاديث الودية . فيفضى سمرز لصديقـه بمـا يعترضه من صعاب فى حياته العملية . فلا يبخل ديل عليـه بالرأى الثاقب أو التحليل المنطقى السديد . الذى يمهد للمفتش عمله . وقد يبلغه غايته فى كثـير من الاحايين . فى الليلة التالية لزيارة الآنسـة أولجا واينفليت لمنزل ديل . . التقى هذا بصديقه مصادفة فى مطعم فرنسى صغير فى ساحـة ليسستر . . وجلسا يتناولان طعام العشاء معا فى صمت تام . . فقد كان المفتش على غير عادته فى تلك الليلة بادى الوجوم والـكآبة ولم تفلح مداعبات ديل وقفشاته فى اخراجـه عن صمته المطبق . وأخيرا قال : ماالذى دهاك أيها العجوز ؟

فقال سمرز بحزن : أشياء كثيرة ياعزيزى ديل .

— اياك أن تقول ان لوبين قد استأنف ألاعيبه الساخرة .

فقال المفتش بسخرية لاذعة : كلا . . ليس هذا مايضايقنى . انها مسألة أخرى لست فى حل من الافضاء بها اليك . . أما عن لوبين فانى فى شغل عنـــه فى الوقت الحاضر . أعنى طالمـا أنا مطمئن الى هدوئه .

فقال ديل ببساطة . . وهو يحدد النظر الى وجه المفتش : ماذا تعنى ؟

— انت تعرف ماذا أقصد . . فلا داعى لتكراره . . سأقبض على لوبين وان طال الامد . فضحك ديل . . وقال : أتمنى لك التوفيق . . لكن لماذا كل هذا الحقد ، اذا لم تخن ذاكرتى ، فان لوبين أدى لك كثيرا من الخدمات الجليلة . فهل نسيت أياديه البيضاء ؟ مارأيك فى هذه السلاطة ؟ .

— لذيذة جداً . . لاتنس ياعزيزى ديل ان الواجب هو الواجب .

— هذا صحيح . لكن لماذا هذا الانقباض ؟ هل ثمة قضية جديدة معقدة ؟

— ليست معقدة تماما . . ولكنها محيرة على كل حال . . أنبئنى ياديل . . هل اتفق لك ان حاولت وأنت مضطجع فى فراشك أن تذكر مناسبة رأيت فيها وجها معينا ؟ . فقال ديل بلهجة ذات مغزى : الواقع أن الوجوه وتذكرها من المسائل التى توقع الانسان فى أشد الحيرة والارتباك .

— حسنا . . تلك هى المعضلة التى أواجهها . فثم وجه تلازمنى صورته منذ عدة أسابيع ، ولست اكتمك انه يحيرنى تماما ياديل . . انا واثق كل الثقة من اننى رأيته ، ولكنى لاأستطيع أن أذكر المناسبة

— اهو وجه رجل أم امرأة ؟ .

فاخرج سمرز غلافا من جيبه . وتناول منه صورة عرضها على ديل ، وكانت صورة امرأة واقفة فوق لوح من الخشب . وخلفها بعض العلامات المرسومة بالمداد. وقال سمرز : هذا هو الوجه الذى يحيرنى . . انه وجه فتاة بارعة الجمال كما ترى ولا أحسبك تصدق ان البوليس يسعى للقبض عليها لاتهامها فى جريمة قتل . . لقد بعث الينا البوليس الفرنسى بهذه الصورة منذ بضعة أسابيع ، وطلب الينا البحث عن صاحبتها ، اذ المعتقد انها فتاة انجليزية ، ولديهم من الاسباب مايحملهم على الظن بانها موجودة فى انجلترا . . من المحتمل ان تكون لصة دولية . وانى على استعداد لأن اراهن بمنصبى على انى رأيتها فى مكان ما . . لكن . . ماذا دهاك ياديل ؟ . لم يكن ديل على استعداد لمواجهة المفاجأة . . فما كاد يرى وجه صاحبة الصورة ، ويستوثق من انه وجه أولجا واينفليت حتى اضطرب ظهراً لبطن. وتجلت على وجهه دلائل الدهشة والحيرة .

قال متسائلا وهو يحاول أن يخفى اضطرابه : وما اسمها ؟

— هذا مالا أعلمه . . حقا ، انها قضية عجيبة ، فليس لدى البوليس دليل واحد غير هذه الصورة وشعر ديل بنظرات سمرز الحادة تكاد تخترق جمجمته ، فلعن نفسه لأنه لم يستطع ان يسيطر على أعصابه ، وفضح نفسه حيث كان ينبغي أن يحتفظ بثباته ورباطة جأشه .

غمغم وهو يتأمل الصورة : هذا عجيب .. لقد خيل الى للحظة خاطفة انني رأيت هذا الوجه . . قد أكون مخطئا ، فان التشابه خداع . . كلا . . لا أظن انني رأيت هذه الحسناء من قبل .

وهز كتفيه استخفافا . . وأعاد الصورة الى المفتش . . وكان قد استرد هدوءه تماما فى تلك الآونة . . ولم يعد يأبه لنظرات سمرز المريبة .

وأعاد سمرز الصورة الى جيبه . وقال ديل : مهما يكن من أمر صاحبة هذا الوجه فانني على استعداد للمراهنة على انها لم ترتكب أية جريمة . . ان البوليس كثيرا مايخطىء . . هل لك فى سيجار ياسمرز ؟ . ونهض ديل واقفا . وغادر المطعم بخطى وئيدة مطمئنة تشيعه نظرات سمرز الدالة على فرط ريبته .

((*))

فى تلك الليلة ، قصدت افلين ستابليتون الى غرفة المكتبة . . عقب تناولها طعام العشاء ، فالفت زوجها منصرفا الى دراسة الصحيفة المالية فى احدى صحف المساء

كانت افلين من نجوم المسرح فى أحد الأيام ، وعندما استوثقت من أن نجمها قد بدأ يأفل . آثرت أن تنسحب من الميدان وهى فى أوج عظمتها ومجدها واقترنت بمستر كولبى ستابليتون . قالت المرأة لزوجها بلهجة مغرية تدربت تمام التدريب على استعمالها فوق المسرح : ياأعز الناس لدى . لقد ذهبت اليوم الى المدينة واستفسرت عن ثمن العقد المعروض فى حانوت برتران . . فكم تظن سعره ؟. فوضع ستابليتون الصحيفة جانبا . وتأمل زوجته مليا . . ثم ابتسم وقال : ثلاثة آلاف ؟ !

فقالت افلين بسخرية : ثلاثة آلاف ! ان بالعقد خمسا وسبعين ماسة منتقاة . . فضلا عن المشبك الثمين .. ان خمسة آلاف من الجنيهات لا تقوم هذا العقد الثمين .

فقال الزوج معترضا : ولكن هذا مبلغ ضخم

— وهل تبخل بمثل هذا المبلغ على زوجتك المحبوبة ؟ ! ان هذا العقد يلائم

جيد الملكات ، ولو قد رأتني أبرز نساء المجتمع مكانة وجمالا ، وأنا ازين به جيدى لتوارت عن الانظار استخذاء .. أفلا تريد ان تفخر بزوجتك الصغيرة ؟

وأحاطت عنقه بذراعها البضة الناعمة .. وقبلته فوق جبهته . فتهللت أسارير ستابليتون .. ونفض عنه ذلك الشعور الغامض الذى خالجه وجعله يعتقد ان افلين تقوم بتمثيل دور متقن للظفر بالعقد

كان قد بلغ الثمانية والستين من عمره .. بينما لم تتخط افلين الربيع الثالث والثلاثين .. ولكنه كان يتحاشى جهده ان يفكر فى الهوة الساحقة التى تفصل بينهما من حيث السن . غير انه كان يعلم من ناحية أخرى انه لن يستطيع الاحتفاظ بها الا بارضاء نزواتها واشباع مطامعها .. فمنذ تزوجها وحياته سلسلة من المطالب التى لا تنفد .. وهو لا يسعه الا تحقيقها .. وهاهى تطالبه بعقد ثمين يبلغ ثمنه نحو خمسة آلاف من الجنيهات ! يا الهى .. كيف السبيل لكى يقول لها انه لا يستطيع شراءه لأنه لا يملك هذا المبلغ الضخم أو ما يقاربه ؟!

وانه لكذلك نهبة للهواجس والقلق . اذا بالخادم يدخل الى الغرفة .. ويعلن مجىء مستر كاريل برترام .. فسر الزوج ، وغضب فى الوقت نفسه .. سر لأنه خلصه مؤقتا من موقفه الحرج من زوجته .. وغضب لأنه لاحظ ان الشاب كان كثير التردد على منزله .. ويتودد الى زوجته الحسناء بشكل يثير الغيرة والغيظ

قالت الزوجة وهى تتظاهر بالغضب : يا لله ! أحسب انه جاء ليحدثنى عن حفلة الأسبوع المقبل .. أرجو المعذرة يا عزيزى .. لن أتأخر طويلا على كل حال .

وما كادت افلين تغادر الغرفة .. حتى ارتسمت على وجه زوجها دلائل الأسى والقنوط .. كان يمقت برترام من كل قلبه فقد كان الشاب أنيقا ، جميل الطلعة تهوى اليه أفئدة النساء .. وخشى أن تتطور العلاقة بينه وبين زوجته الفتية ولدغته عقارب الغيرة ، وأشفق ان هو رفض أن يذعن لمشيئتها ، ويبتاع لها العقد الماسى ، أن تبادر بهجره .. كما يحتمل أيضا أن تتركه لو علمت كيف ساء مركزه المالى الى درجة خطيرة لا يرجى معها اصلاح .

وراح ستابليتون ينحى على نفسه باللائمة لأنه تورط بزواجه من امرأة بارعة الجمال ، تصغره بنحو ثلاثين عاما . كان مركزه المالى قد أخذ فى التدهور عقب طلاقه من زوجته الأولى مباشرة .. وبدأ ترف افلين وبذخها يأتى على

ثروته ، ثم الاحتياطى أيضا حتى نضب معين دخله ، واضطر الى رهن القصر الذى يقيم به . وكأنما بلبلت هـذه الافـكار السوداء خاطر ستابليتون ، فنهض عن مقعده .. ومشى الى مكتبه الانيق وهو ينتزع قدميـه انتزاعا ، وصب لنفسه قدحا من الخمر ، جرعه دفعة واحدة .. ولـكنه لم يشعر بالارتياح الذى سعى اليه . . فعاد الى مقعده وتهالك فوقه ، وقد اصفر لونه ، وبدت عليـه علامات القنوط والاضطراب . نعم . . كان الموقف قد ساء كثيرا فى الأيام الأخيرة .. وزاده سوءاً اهماله أعماله الخاصة .. إذ انقطع عن التردد على مكتبه فترة طويلة ، وبدأت الغيرة تنهش قلبه ، وتصرفه عن كل شىء إلا عن مراقبة زوجته ليل نهار . على انه أيقن فى تلك اللحظة أنه من المحتم عليه أن يعثر على المال اللازم لشراء العقد . . وتعاون الجبن والغـيرة على ممالأته ، فادرك انه من المستحيل أن يردها خائبة . . أو يرفض سؤلهـا .. فـكيف يستطيع إذن أن يبلغ هذه الغاية ؟ كان هناك مورد آخر لا يزال مفتوحا أمامه ، فقـد طالما لجأ اليه عندما تحـكمت الأزمات وأخذت بخناقه .

وملأ لنفسه قدحا آخر من الخمر .. ثم مضى الى مكتبه حيث ثبتت فى جوفه خزانة حديدية صغيرة من طراز عتيق . . وعندئذ تذكر ان أرسين لوبين سطا على هذه الخزانة منذ أسبوعين ، واستطاع ان يفتحها ، ويظفر ببعض نفائسها . ولـكنه ــ أى ستابليتون ــ لم يجزع ، وأدرك ان لوبين لن يعيد الـكرة ويسطو عليها مرة أخرى اذ المأثور عنه انه لا يقوم بمغامرتين فى مكان واحد .. وعلى كل حال ، كانت الأشياء الثمينة الباقية لديه موضوعة فى درج سرى فى قاع الخزانة لا يمكن ان يهتـدى اليه حتى أرسين لوبين نفسـه وكانت يده ترتعد وهو يفتح الخزانة . . فلمـا انفتح بابها ، مد يده الى أقصى نهايتها ، ولمس زراً صـغيراً . . فانفرج قاعها عن درج صغير ، رفعه من مكانه . . ووضعه فوق المـكتب ، وراح يفحص محتوياته .

كانت هناك حزمة من السندات ذوات الفئات الـكبيرة .. ولـكن هذه الحزمة كانت قد تضاءلت كثيرا فى الشـهور الأخـيرة . . ذلك ان ستابليتون كان يلجأ اليها ليبيع جزءا منها كلمـا استحكمت الأزمة المـالية . . ولم يكن أحـد غيره يعرف بوجود هذه السندات فى خزانته . ولو كانت الظروف طبيعية لأودعها فى صندوق الأمانات فى المصرف ، ولـكنه كان يفضل ان يحتفظ بها فى منزله . .

لأسباب خاصة .   وبينما كان ستابليتون يفحص محتويات الدرج ، سقطت منه بطاقة بريد ، سجل على أحد وجهيها عنوان ما بخط نسائي وبجواره الرسالة نفسها . . وفي أحد الأركان خاتم بريد فرنسي يكاد يطمس الطابع . . وفي الجهة الأخرى صورة امرأة ترتدي ثيابا بيضاء . . خلفها منظر كمناظر المرافع (الكرنفال)

وحدق ستابليتون في الصورة بارتياح ثم أعادها الى الدرج . . وتناول قلما من جيبه وراح يحصي قيمة السندات . وما لبث ان تنهد دلالة على الابتهاج ، فقد أيقن ان بيع جزء مما تبقى منها يكفي للحصول على ثمن العقد الذي تريده افلين . . فتناول هذا الجزء ووضعه في جيبه الداخلي ، وأعاد ماتبقى الى الدرج السري . . ثم تهيأ لاغلاق الخزانة . . وفجأة وقع بصره مصادفة على الستار المسدل فوق باب الغرفة ، فألفاه منتفخاً بشكل غير عادي كما لو كان ثم شخص متوار خلفه . . فجمد في مكانه ، وترك الخزانة مفتوحة . . وهو يتميز غيظا ، ويتساءل عمن يكون هذا الفضولي المختبيء خلف الستار .

ولم يكن ستابليتون بالرجل الجبان على الرغم من سوء حالته النفسية ، وتحطم اعصابه . . فعبر الغرفة في خطوات معدودات ثم مد يده ، وبحركة مفاجئة سريعة أزاح الستار جانبا . . فرأى نفسه وجها لوجه أمام شاب أطول منه قليلا ، يرتدي ثياب السهرة ، ويبدو عليه المرح والغبطة . .

وأخذ الشاب من هذه المفاجأة غير المتوقعة ، وشهق شهقة قوية ، فأمسك ستابليتون به من ذراعه بعنف ، وجذبه الى داخل الغرفة . وقال له مغضبا :

— آه ! أهذا أنت يابابرترام ؟ ! كنت أظنك تتحدث الى زوجتي عن حفلة الأسبوع المقبل ؟   فقال الشاب وقد استرد هدوءه ورباطة جأشه :

— لقد كنت أفعل ذلك . ولكني تركتها منذ خمس دقائق بعد ان قلت لها انني أستطيع الخروج من المنزل وحدي . . ولكن خطر لي انه ليس من اللياقة ان أنصرف دون ان أحييك   فقال ستابليتون وهو يتأمل الشاب باهتمام :

— هذا تلطف عظيم منك . . أ كان هذا سر تجسسك على من وراء الستار ؟

فصاح الشاب معترضا : تجسس ؟ ! هذه كلمة نابية ياستابليتون ، وهي تدل على طبيعتك المريبة   — إذن ماذا كنت تفعل خلف الستار ؟

فلم يجب برترام مباشرة . . وجلس فوق احد المقاعد . ثم مد يده وتناول لفافة

من العلبة الفضية الموضوعة فوق المنضدة الصغيرة . ثم اشعلها ببطء .. وقال :

— ان لهجتك لاتعجبني ياستابليتون .. ثم انك تلقى على وابلا من أسئلة لاحق لك في القائها . . ثم استطرد بلهجة المتوعد : لو كنت في موقفك لما عاملتك بمثل ماتعاملني به فقال ستابليتون وقد سرى اليه القلق : لماذا ؟

— لأن تصرفك لايتفق مع بعد النظر . . واللياقة ايضا . انك تسألني عن سبب مجيئي الليلة لتحيتك ومن المؤكد انه قد غاب عنك ياستابليتون . ان كثيرين قد زجوا في السجن بسبب سوء خلقهم وتصرفاتهم

فامتقع وجه ستابليتون قليلا ، برغم انه كان يتوقع هجوما عنيفا من لون آخر . . هجوما يكشف له عن مدى مارآه برترام وهو متوار خلف الستار ، ولكن الشاب لم يذكر او يلمح عن شيء ، فلعله لم ير شيئا . .

واستطرد الشاب بلهجة حادة : من مصلحتك ان تكون معي رقيقا فانني أعرف مالا تريد ان يعرفه الناس . . لقد كانت زوجتك الأولى امرأة ظريفة ياستابليتون ، ولكنك تنكرت لها ونبذتها عندما همت بزوجتك الحالية ، وأحدثت أسباب الطلاق المزيفة التي قدمتها دويا عظيما في المجتمع وفضيحة من أكبر الفضائح . . حتى لقد شك كثيرون في انك أقسمت كذبا ضد زوجتك وانك أحضرت شهوداً مزيفين لاثبات تهمة الخيانة الزوجية عليها . . أقول انهم يشكون ولكنهم ليسوا واثقين . . وأما أنا فأعرف الحقيقة وفي استطاعتي ان أدلل عليها

وارتسمت على شفتي برترام ابتسامة ساخرة . . بينما حدق ستابليتون في وجهه مشدوها . . ثم قال بهدوء : ربما . . ولكنك لن تجرؤ على الافصاح عما تعلم دون ان تدين نفسك . فقد كنت أحد شهودي فقال الشاب ضاحكا :

— قد انقلب شاهد ملك . . على كل حال ، في استطاعتي ان أزيد موقفك سوء وأسبب لك متاعب جمة . فمن الخير لك إذن ان تغير أسلوبك . . وتكون أقرب الى الكياسة في معاملتي . . ثم ان هناك شيئا آخر ياستابليتون . . شيئا أردت ان أناقشك بشأنه منذ وقت طويل

فأحس ستابليتون كأن قبضة من فولاذ قد هصرت قلبه . وقال وهو يتململ في مقعده : وما هو هذا الشيء ؟

فأجاب الشاب : هل لك ان تذكر لي الرقم الحقيقي للمبالغ التي سرقتها من

ثروة الآنسة واينفليت ؟ فانكمش ستابليتون فى نفسه ، وجحظت عيناه . وقد سلبته الصدمة كل قدرة على الكلام .

واستطرد برترام . . بهدوء : كان المرحوم واينفليت أعز أصدقائك . فلما مات ، وفتحت وصيته ، اتضح انه ترك كل ثروته لابنته أولجا واينفليت على ان تقوم بالوصاية عليها حتى تبلغ الحادية والعشرين . . وكان جل ثروتها من الاسهم والسندات . . وعلى فكرة أين هذه السندات الآن ياستابليتون ؟

فاستمد رب الدار من قنوطه قوة وغمغم : بأى حق تلقى على هذا السؤال ؟

— انه الفضول لا غير . خير لك ان تشرب كأسا أخرى ياستابليتون اذ يبدو انك شديد الاضطراب . . من عجب حقا ان يحدث مثل هذا السؤال التافه كل هذا التأثير فنهض ستابليتون مترنحا الى المكتب وصب لنفسه كأسا من الويسكى جرعها دفعة واحدة . ثم عاد الى مكانه وهو ينظر الى برترام كما ينظر المجرم الى جلاده . واستطرد الشاب : كم رقم المبالغ التى استوليت عليها بغير حق ؟ — ولا بنساً واحداً . . انك . . انك لمجنون !

— وأنت كاذب . لقد كنت تتلاعب بزوجتك . وتوهمها بأنك من ذوى الثراء العريض . ولكنك لا تستطيع تضليلى . . وعلى فكرة . . لقد حدثتنى عن العقد الذى ستبتاعه لها . وقالت ان ثمنه خمسة آلاف من الجنيهات . . ورحت أعجب كيف ستتمكن من الحصول على مثل هذا المبلغ الضخم . . ولكن بينما كنت واقفا خلف الستار رأيت شيئا .

وانتفض ستابليتون وأيقن ان أمره قد افتضح . . واستطرد محدثه :

— رأيتك تضع شيئا يشبه السندات فى جيبك . . وأكبر الظن انك تعتزم بيعها غداً لتشترى بثمنها العقد الذى وعدت به زوجتك .

فصاح ستابليتون بحدة : أنت تهذى فتجاهل الشاب اعتراضه واسترسل : حسنا . . بع السندات كما أردت . . وثق اننى أرجو لك التوفيق فى الحصول على أكبر سعر ممكن . . ولكنى لا أنصحك بشراء العقد . . ودع زوجتك تعجب لتصرفك . . وأما ثمن السندات . . فثم طريق أفضل للتصرف فيه صفوة القول ، خير لك أن تعطيه لى . فحدق رب الدار فى وجه الشاب مصعوقا . . وصاح : آه . . قد فهمت . . انك تريد الاحتيال على .

فضحك برتراند ضحكة رقيقة . . وقال : هذه كلمة اخرى نابية ياستابليتون . . إن رجلاً في مثل مركزك ينبغي ان يهذب عباراته . . أظنك تفهم ان مجرد تلميح في اذن الآنسة وانفليت الجميلة يكفي لأن تقيم الدنيا وتقعدها بل انها تطلب اجراء تحقيق دقيق لمعرفة حقيقة ثروتها وما تبقى منها . . لكن لا تجزع ياصديقي . . فانني لن أفضي اليها بشيء من هذا كله . . على الأقل في الوقت الحاضر . . ما رأيك في أن نتناول معا طعام الغداء غداً ؟ ارجو أن تقابلني في مطعم كلونيال ، فهو مكان هادىء تطيب فيه المناقشة في الأعمال . . وبهذه المناسبة . اني أود أن يكون المبلغ اوراقاً مالية من فئة الخمسة والعشرة الجنيهات . لأنها سهلة التداول . . هالي مساؤك ياعزيزي . .   وضحك الشاب ضحكة رقيقة ، كأن لها وقع أجراس الجنائز في أذن ستابليتون . . ثم انصرف من الغرفة على عجل

وبقى رب الدار جامداً في مكانه . . وقد سحقته الكارثة سحقا . . حتى اذا ما سمع صوت الباب الخارجي وهو يغلق . . نهض عن مقعده بتثاقل . . وغادر الغرفة بخطى قلقة مضطربة وقد غاب عنه أنه نسى اغلاق خزانته

وبعد قليل دخل احد الخدم الى الغرفة واطفأ النور . . ثم انسحب في هدوء وساد الصمت المنزل . .

***

وبعد ساعة تسلل شبح من الحديقة . . وتقدم نحو باب شرفة غرفة المكتبة . ووقف هنالك هنيهة وهو يصيخ السمع . ثم أخرج أداة رفيعة من جيبه . . وراح يعالج المزلاج حتى فتحه . ثم نفذ الى الغرفة المظلمة

ولم يكن هذا الشبح غير ارسين لوبين متنكرا في زى رجل عجوز

« * »

وبقى لوبين ساكنا بضع لحظات . . فلما اطمأن الى استتاب الهدوء . . اخرج مصباحه الكهربائي ، وأضاءه . . فانبعث منه شعاع قوى مستطيل . أرسله في ارجاء الغرفة ، وما لبث ان تقدم من الخزانة بحذر ثم وضع المصباح فوق أحد المقاعد . مسددا اشعته صوب الخزانة . . ثم ركع أمام المكتب . . وما كاد يدير المقبض حتى فتحت على الفور   وتراجع ديل الى الوراء مصعوقا . .

واوجس شرا ، اذ لم يكن من الطبيعى أن يترك اى رجل خزانته مفتوحة ، وأدرك ان فى الامر شركا منصوبا .. فاطفأ مصباحه على عجل وتحفز لمواجهة الموقف .. ولكنه انتظر وقتا طويلا . . دون ان يعكر صفو السكون معكر .

ولم يجد تعليلا لهذه الظاهرة الغريبة سوى ان ستابليتون غاب عنه ان يغلق الخزانة .. فعاد ادراجه اليها . . وأشعل مصباحه مرة أخرى . وصوب أشعته الى جوفها .. وشرع يبحث عن بطاقة البريد المنشودة

وطال بحثه دون ثمرة .. ولم يجد للبطاقة اثرا فيها . فعجب لذلك ، وبدأ يعتقد ان الفتاة قد أخطأت حين ظنت ان ستابليتون يحتفظ بها فى الخزانة

ولكنه لم يذهب مع اعتقاده هذا . . اذا لم يلبث ان أكب على الخزانة . وراح يتفحصها بدقة وعناية . . الى ان عثر على الزر الخفى . . فضغطه برفق . وعندئذ انحسر قاع الخزانة عن الدرج السرى .

وأخرج ديل الدرج .. وأفرغ محتوياته فوق الأرض .. فرأى حزمة السندات أولا . . ولكنه لم يعبأ بها .. وانما انصرف الى البحث عن البطاقة حتى وجدها وأعاد حزمة السندات الى الدرج . . ثم وضعه فى مكانه . . وأغلق الخزانة . . وراح يتأمل لقيته على ضوء مصباحه . فلاحظ انها تحمل خاتم بريد كان بفرنسا فى اليوم الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٥ . وأما المنظر المرسوم على الوجه الآخر فكان منظر مرافع . فى صدره فتاة ترتدى ثيابا بيضاء . . ولم تكن هذه الفتاة غير الآنسة أولجا واينفليت .

ولم يكن بالبطاقة شيء آخر يبرر شدة تلهف الفتاة على الحصول عليها .

ووضع ديل البطاقة فى حافظة أوراقه . . وهز كتفيه . . ثم تناول بطاقته المشهورة . ووضعها فوق الخزانة وهو يتساءل عن القيمة الحقيقية لمثل هذه البطاقة التافهة بالنسبة لمستر ستابليتون .

على العموم . . لو أراد رب الدار استعادة البطاقة فعليه ان يفاوض الآنسة أولجا واينفليت فى ذلك وعندئذ تقدر الفتاة القيمة الحقيقية لها .

وأطفأ المصباح . . ثم مشى الى باب الشرفة . . وهو يشعر بشيء من خيبة الرجاء لأن مغامرته قد تمت بغير عناء أو مشقة

ومد يده ليفتح باب الشرفة . ولكنه مالبث ان توقف . . وجمد فى مكانه

مشدوها . . ذلك انه راى شبحا يحدق فى وجهه من خلف الزجاج .

وامتلأ حماسة .. وأدرك أن مغامرته لن تكون من السهولة كما توقع .

كانت هناك ثلاثة منافذ للهرب .. أحدها هذا الباب . والآخر نافذة . ثم الباب العام . . أما وقد أصبح هذا الباب خطرا .. فليحاول إذن ان يلج أحد المخرجين الآخرين . ومشى الى النافذة المواجهة . . وأزاح الستار . . . ثم أطل الى الخارج . . وسرعان ما تراجع الى الوراء قلقا . فقد رأى خلف الزجاج وجها خيل اليه انه كاد يصطدم بوجهه

ولم يبق غير الباب .. ولكنه ما كاد يعالجه حتى أدرك أنه وقع فى فخ منصوب وساورته الريبة من ناحية أولجا وايفليت فى البداية . . وجال بخاطره انها كانت وسيلة للايقاع به . . ولكنه لم يكد يتذكر تصرفاتها حتى استبعد هذه الفكرة وأيقن انها بريئة من مثل هذا العمل الوضيع .

على كل حال .. كان الموقف خطرا كل الخطورة .. ولا بد أن يجد مخرجا

ولم يتمالك من الضحك .. وهز كتفيه استخفافا .. وبدأ يفكر بهدوء تام .

فور أن يفعل مالا يتوقعه مراقبوه . . فقد علمته التجارب ان هذه الحيلة هي خير وسيلة يلجأ اليها الملاحق مثل هذه المواقف الحرجة . . . ومن ثم احكم اسدال الستائر فوق النوافذ والأبواب . . ثم أضاء مصباح القراءة والتقط كتابا وجلس فوق مقعد . . وأشعل لفافة تبغ من نوع لا يدخنه مارتن ديل . . ثم شرع يطالع الكتاب بهدوء واطمئنان عجيبين

ومضى ربع ساعة دون أن يحدث شيء . . ولكنه كان واثقا من أن مطارديه لن يلبثوا ان يملوا الانتظار . . ويتحفزوا للعمل وعندئذ تتاح له فرصة الفرار

ورفع ديل رأسه عن الكتاب كأنما ليستوعب عبارة مما قرأ . ولكنه كان في الواقع يصغى الى صوت خفيف صدر من ناحية باب الغرفة . . وما لبث ان استأنف القراءة . . وهو مرهف الاذن والحواس ، وان هي الا هنيهة حتى سمع صوت المفتاح يدار في القفل بهدوء وبطء : فابتسم ابتسامة خفيفة دون ان يبدو عليه انه شعر بحركة المفتاح راح الباب يفتح رويدا رويدا بهدوء وحرص عظيمين . . ولاحظ لوبين ان شخصا كان يراقبه من فرجة الباب ، وتوقع ان يرى مسدسا مصوبا اليه بين لحظة وأخرى . .

ولكنه ظل ملازما جلسته كما لو لم يسمع شيئا . . وتثاءب باعياء . بينما أخذ عقله يفكر بسرعة عظيمة كان أول ما جال بخاطره السؤال التالي :

من هو الرجل الذي يراقبه من خلف الباب ؟ أهو المفتش سمرز ؟! هذا بعيد الاحتمال . اذ كيف استطاع المفتش ان يتأثره الى منزل ستابليتون ؟ ومع ذلك فقد ظل هذا الظن عالقا بذهنه لغير ما سبب معقول . فقد كان المعروف ان المفتش يطارد أرسين لوبين منذ عدة اعوام ، واعتاد ان يظهر في اللحظات غير المتوقعة . . ولكنه اعتاد ايضا ان يظهر بمفرده على مسرح المأساة . فهل عدل عن هذه الخطة واستصحب معه بعض رجاله كيلا تمكن ارسين لوبين من الافلات كما دأب في كل المناسبات السابقة ؟ يحتمل . .

وبدأ لوبين يتلفت حوله حتى حفظ كل ركن من أركان الغرفة . . ثم عاد الى المطالعة . أو تظاهر بانه منهمك في استيعاب ما يقرأ .

وبعد هنيهة وضع الكتاب فوق المكتب . ثم غاص في مقعده ، وأشعل لفافة تبغ أخرى . . ولكنه كان يراقب باب الغرفة من ركن عينه . .

وفجأة فتح الباب على مصراعيه .. ولأول مرة نظر ديل ناحيته جهارا .. فرأى كولبى ستابليتون يتقدمه المفتش سمرز واقفين على عتبته

وكأنما انزاح عن كاهل لوبين حمل ثقيل عندما رأى المفتش سمرز عند الباب .. وكان المفتش متسلحا بمسدسه . فتقدم داخل الغرفة . . وأغلق البـاب خلفه بعد ان أشار الى رب الدار بالانتظار فى الخارج . .

＊＊＊

كان وجه المفتش سمرز شـديد الاحمرار . . فابتسم لوبين ابتسامة خفيفة . . وتظاهر بالدهشة الشديدة لدخول المفتش الى الغرفة بغير استئذان . .

وتقـدم سمرز منه بخطى ثابتة . . وراح يحدق فى وجهه بدهشة . . ثم صاح فى سخرية : ياهـــذا . . انظر الى ! !

فحدجه (هذا) بنظرة تشف عن الازدراء . . واستطرد المفتش :

— انك تذكرنى بشخص معين طالما رأيته . فانت تلعب الدور الذى اعتاد ارسين لوبين ان يقوم به كلما واجه موقفا عصيبا . .

— ارسين لوبين ! ! ياللعجب ! ليخيل الى انك واقع تحت تأثير وهم حاد ! !

فأومأ سمرز برأسه .. وأجاب : نعم .. وهذه هى اجابات ارسين لوبين المعتادة .. انه داهية فى التفكير . وفى استطاعته ان يغير صوته ويتـكلم بلهجات متعددة . ثم انه فوق هـذا يتمتع باعصاب من فولاذ . . فاذا ساء موقفه ، جلس مثلك تماما ولجأ الى الدعابة والهذر كسبا للوقت . وبحثا عن مخرج

ونفث لوبين سحابة من الدخان من فمه فى اتجاه المفتش . . بينما تقـدم سمرز منه خطوة وهو يراقبه بعين يقظة . . وما كاد يصـل الى الخزانة . . حتى انفجر ضاحكا . . وهتف : آه . . هذه بطاقة أرسين لوبين المشهورة . . ان الشـيطان ما زال متشبثا باضحوكته المبتذلة ولم يحاول المفتش ان يهوى اليها وانمـا تركها فى موضعها . وواجه اللص الجرىء . . وصاح فى وجهه :

— علام عثرت داخل الخزانة ؟ — على قرد صغير ذى عينين زرقاوين . . ولو قدر له أن يعيش طويلا لشابهك تماما

— نـكتة فجة معادة . . وهى من دعابات أرسين لوبين المأثورة كلما احيط به على كل حال . . سيكون أحدنا قردا الليلة . ولـكنى اؤكد لك انى لن اكونه

فقال لوبين باسما : هذا شيء يؤسف له بغير شك . . لاريب انك المفتش سمرز لقد سمعت عن مفتش نكرة لا يفتأ يتشدق بانه سيقبض على أرسين لوبين بمفرده ولكن يبدو انك لم تأت وحدك الليلة . . فقد أحطت الدار بسياج من رجالك . . اليس كذلك ؟ فاحمر وجه سمرز غضبا . . وصاح :

— سوف تندم على هذه القحة . . لقد آثرت أن أكون فى هذه المرة على حذر واحتاط لألاعيبك . . واعتقد انني قد ظفرت بك . . كنت واثقا من انك تعتزم الليلة القيام باحدى مغامراتك الجريئة . ومن ثم صح عزمي على مراقبتك . وهاقد تحققت أمنيتي أخيرا . — وما الباعث لك على هذا الاعتقاد أيها المفتش ؟

فقهقه سمرز ضاحكا . . ولكنه لم ين لحظة عن مراقبة غريمه . ثم قال :

— كنت أتناول طعام الغداء اليوم مع شخص مشهور اسمه مارتن ديل . . الا تعرفه ؟ ! حسنا . . لقد أطلعته على صورة معينة . فما كاد يرى وجه صاحبتها حتى بدا عليه الاضطراب ولكنه حاول ان يغرر بي . وقال انه لايعرف صاحبته . ولكني فكرت فى انه ربما حاول الاتصال بهذه المرأة . ومن ثم عولت على تعقب حركاته — آمل ان تكون حركاته قد أرضت فضولك

— بغير شك . فقد ذهب الى منزله أولا . . وبقى به حتى أرخى الليل سدوله ثم خرج لتناول طعام العشاء ، ولا ريب انه صرف وقتا طويلا فى المطعم لأنه لم يعد الى منزله حتى الساعة الحادية عشرة . . وبعد نحو ساعة ونصف تقريبا . رأيت شخصا غريب المنظر يغادر منزله . . فسرت فى اثره حتى هنا . . واتصلت بمركز البوليس واستدعيت بعض الرجال . ثم اتصلت بستابليتون وأفضيت اليه بنبأ وجود لص فى غرفة مكتبه . ثم طالبته بالا يقدم على شيء حتى نصل . . وبعدئذ ضربت نطاقا من الرجال حول الدار فابتسم ديل بسخرية ، وسكت .

وفجأة ، وعلى غير انتظار انقض المفتش على لوبين وأحاط معصميه بقيد حديدى . ثم صاح بلهجة الظافر : هذه ياديل نهاية ارسين لوبين

فقال وهو يتأمل القيد باهتمام كما يتأمل الطفل لعبة استهوته :

— ديل ؟؟ ماذا جعلك تعتقد ان اسمى ديل بحق السماء ؟

— انه طير صغير همس الاسم فى اذنى

— انك تستخدم معلوماتك من مصادر غريبة أيها المفتش

— لا شأن لك بذلك . . انك ممثل عظيم . . ولكن لن يمضى وقت طويل حتى أثبت للملأ أنك مارتن ديل بعينه

نطق المفتش بهذه العبارة فى حماسة تخالطها رنة أسف . ثم استطرد :

— لقد أقسمت انأظفر بك ياديل ، وهاقد بررت بقسمى . ولكنى حذرتك فلم ترتدع . — وماذا تقصد من هذه المهزلة ؟

ورفع ديل يديه المقيدتين . . وحدق بغضب فى القيد الحديدى !

فقال سمرز : ان هذه الأساور ستكون حائلا بينك وبين ألاعيبك القديمة حتى نلقى بك فى السجن . فشرع السرور فى وجه لوبين وراح يعبث بالقيد . . وهتف : هل تظن حقا انك قد ظفرت بى ؟

— أنا لا اظن ولكنىأعتقد . . انها سترغمك على التزام السكينة حتى نذهب بك الى مركز البوليس ونفتشك هناك . فضحك لوبين وهو ينظر الى القيد باستخفاف . . ثم قال : اؤكد لك انني سأتخلص منها فى غضون ربع ساعة . . فخير لك أن تستدعى رجالك ياسمرز لأنك ستكون فى شدة الحاجة اليهم .

فقال سمرز ساخراً : استمر فى هذيانك . . فلا شىء يعزى المرء غير مرحه وقت جنازته !! هل تريد ان تقول شيئا قبل أن نسدل الستار على المأساة ؟

— هل تسمح لى بتدخين لفافة تبغ ؟

— بكل سرور . . هل أعاونك فى اخراج علبة لفائفك من جيبك ؟

— أشكرك . . فى استطاعتى أن اخرجها دون معونتك .

وتمكن بصعوبة من ان يخرج العلبة بيديه المقيدتين . . وأشعل لفافة . . راح يدخنها بشغف وبطء . . بينما كان سمرز يراقبه عن كثب فقد علمته التجارب ان ارسين لوبين يكون شديد الخطورة فى لحظات عبثه .

ومن ركن عينه لاحظ لوبين انتفاخا فى أحد جيوب المفتش . ذلك ان سمرز كان قدأعاد مسدسه الى جيبه . . بعد إذ اطمأن الى ان غريمه لن يقوى على المقاومة . . وأدار لوبين بصره فى ارجاء الغرفة . واستقرت عيناه لحظة خاطفة على مصباح القراءة الموضوع فوق المكتب على مقربة من مرفقه . .

وفجأة . . وفى لمح البصر . . أهوى على المصباح بمرفقه . . فسقط فوق الأرض . وتحطم محدثا صوتا مزعجا . . وساد الظلام الغرفة

وصاح المفتش صيحة حادة . . وانطلق يضرب في الغرفة على غير هدى باحثا عن مفتاح النور . . وبينما كان يركض كالمجنون شعر بشيء يلمس صدره برفق . ولكنه لم يأبه له . . حتى اذا ماعثر على المفتاح وأداره . . فغمر الضوء الغرفة . تلفت حوله باحثا عن السجين وفجأة . سمع صوت لوبين وهو يقول :

— هل تبحث عنى أيها المفتش ؟ فاستدار سمرز على عقبيه . وشده ماراعه ان رأى سجينه واقفا عند باب الشرفة . ويداه مطلقتا السراح وفي إحداها مسدس صوبه نحو المفتش . . وتذكر سمرز الشيء الذي لم يأبه له اثناء بحثه عن مفتاح النور . فأيقن ان لوبين سرق مسدسه في الظلام . وهاهو يهدده به

وأما القيد فكان ملقى فوق الأرض مفتوحا

وبينما كان المفتش في ذهوله . . تقدم لوبين منه . ثم التقط القيد الحديدى . وبسط يده به الى سمرز وقال : أظن ان هذا القيد قيدك أيها المفتش

وقذف به عند قدميه . . واستطرد : أرجو ان تقبله مع تحيات ارسين لوبين

ثم وثب نحو الباب . ونفذ منه . واغلقه خلفه . . وفي التو استرد المفتش حواسه المضطربة . . ودبت الحياة والنشاط في جسده الغليظ . . فنظر الى القيد الملقى عند قدميه . وخشى ان يراه رجاله . فيعرفوا الحقيقة وفي ذلك اذلال له ايما اذلال . . ومن ثم مال والتقطه . ودسه في جيبه . ثم ركض الى باب الشرفة وفتحه . . وصاح في رجاله ينبههم الى الفار . .

وعندئذ دوت في الفضاء ضحكة صاخبة . ضحكة لوبين الساخرة .

ان الرجل الذي يستطيع ان يتخلص من قيد المفتش سمرز . . لن يتعذر عليه ان يجد وسيلة للفرار .

« * »

لم يكن ثمة شك في ان الأقدار قد حالفت مستر كولى ستابليتون . . ذلك ان صحف اليوم التالى أطنبت في وصف سرقة خزانته . . وذكرت الوسيلة المثيرة التى استطاع اللص ان يفر بها . . والبطاقة المشهورة التى خلفها في مكان السرقة .

وعند ظهر اليوم التالى غادر ستابليتون حانوت برتران الجوهرى وقد ارتسمت على وجهه أمارات الرضا والارتياح . . وعند باب الحانوت وقفت سيارة فاخرة ، قد اسدلت الستائر فوق نوافذها .

ولأمر ما حدق ستابليتون فى السيارة ، وخيل اليه انها كانت تسير فى اثره منذ اكثر من ساعة ، ولكنه لم يولها شيئا من عنايته الى أن رآها واقفة امام باب حانوت الجوهرى فى تلك اللحظة . .

وفجأة أزيحت إحدى الستائر قليلا ، ورأى ستابليتون يدا تتحرك خلف النافذة وتشير اليه بالاقتراب ففعل مشدوها . . وما لبث السائق ان وثب من مقعده . . وفتح له الباب ، وقبل ان يدرك ستابليتون ماحدث بدأت السيارة رحلتها المجهولة والفى نفسه جالسا بجانب امرأة فى ربيع العمر تنم ثيابها عن البذخ والترف . .

قال لها برفق : ألا تعتقدين انك تجازفين كثيرا يافيرا ؟

فقالت المرأة بصوت حلو النبرات :

— واين الخطر ؟ انى لا أظهر وجهى . ثم انه من المستحيل ان ألازم المنزل باستمرار . صدقنى ان السجن لأخف وطأة على النفس من هذه الحياة الجافة

ثم ضحكت ضحكة قصيرة . . وأردفت : يخيل الى انك اليوم كثير العمل يامستر ستابليتون . علام عولت الآن وأين ستذهب ؟

— يمكنك ان تذهبى بى الى مطعم كلونيال . . وعلى فكرة . أظن انك اطلعت على الصحف ؟ فأومأت المرأة برأسها ايجابا . . ولزم الاثنان الصمت . حتى وقفت السيارة أمام مطعم كلونيال وهبط منها ستابليتون ثم تحركت ثانية . . وما لبثت ان غابت عن انظاره . . فاستدار على عقبيه ومضى الى المطعم . كان بادى الارتياح مشرق الاسارير . . مما يدل على ان حديثه مع المرأة قد سره . . ولا عجب ، فقد تطورت الأمور تطورا محسوسا لمصلحته . . وصحيح ان فقدان البطاقة لم يكن بالأمر الذى يمكن تجاهله . . ولكن كان له فى حادث السرقة غير تكأة بل ونجدة لم تكن متوقعة .

والفى برترام فى انتظاره . . فنظر اليه متحديا . . مزدريا . . فعجب الشاب لأمره . وأدرك ان تطورا قد طرأ حتى أمكن ان يحدث هذا الانقلاب الواضح فى تصرف ستابليتون قال له : لقد طلبت الى الخادم ان يأتينا بالطعام اقتصاداً للوقت . . فطلبت لك دجاجا . . ولنفسى سمكا . . فهل يرضيك هذا ؟

فقال ستابليتون باحتقار : كلا . .

— كنت أعتقد ان الاطباء قد فرضوا عليك تناول أطعمة خاصة

— فليذهب الأطباء الى الشيطان .

واشتدت حيرة الشاب ودهشته . . ولكنه اضطر الى استدعاء الخادم ، والى ما سبق أن طلبه . ثم أمره باحضار الألوان التى طلبها ستابليتون .

واخذ ستابليتون يتحدث عن تصرفات الأطباء ، وذكر كيف انها تحد من شهية الانسان . . وأطنب فى حديثه كما لو كان الموضوع من أحب الموضوعات الى قلبه .. فاضطر برترام الى الاصغاء اليه والضجر يكاد يقتله .

وأخيرا انتهز الشاب فرصة سنحت له وسأل رفيقه : هل جئت بالمال ؟

— أى مال ؟ فاجهم وجه برترام .. وهتف : يبدو انك قدنسيت

— نسيت ماذا ؟ فقال الشاب وهو يرمقه بنظرة باردة تنطوى على الوعيد : أوه لا مفر إذن من تنشيط ذاكرتك . . لقد لاحظت أمس شذوذا فى تصرفاتك فراقبتك وتعقبتك حتى غرفة مكتبك . . وهناك رايتك تخرج حزمة سندات من خزانتك . . وضعت أغلبها فى جيبك ثم أعدت ما تبقى الى الخزانة . فلم يجب ستابليتون .. وراح يرمق الشاب بنظرةباردة ساخرة

واستطرد برترام : وقد ربطت تصرفاتك امس ببعض ظنون كانت تساورنى فى الفترة الأخيرة .. والآن حدثنى ياستابليتون . . هل بعت السندات التى وضعتها أمس فى جيبك ؟ فاعتدل ستابليتون .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة . . وقال : لا ريب ان قوة إبصارك ليست على ما يرام يابرترام . . انى لم افعل أمس اكثر من احصاء السندات التى كانت فى الخزانة . . فاذا كنت تعتقد انى وضعت بعضها فى جيبى ، فلا ريب ان عينيك قد خدعتاك .

فرمقه برترام بنظرة حادة .. وقال :

— انك تضرب على نغمة غريبة ياصديقى . لكن ثق انها ان تجديك نفعا . .

— هل فى استطاعتك ان تدلل على صحة أقوالك ؟

فتألقت عينا الشاب . . وقال فى لهجة غاضبة :

— لقد امتدت يدك فى الفترة الأخيرة الى نقود الآنسة وايتفليت . . وكان ما أخذته منها أمس جزء يسيراً بالنسبة لسرقاتك السابقة

فضحك ستابليتون دلالة على الطرب . وسأل بصوت خافت :

— واين برهانك ؟ ألم تطالع صحف الصباح ؟

فقال برترام بلهجته الغاضبة : إذن فتلك هى حيلتك . . لقد جال ذلك بذهنى وانا انتظرك . . كانت زيارة ارسين لوبين غير المتوقعة لمنزلك ليلة أمس فرصة نادرة تشبثت بها . . أليس كذلك ؟. فأنت تحاول إذن ان تلقى فى روع الجميع بأن ارسين لوبين قد سرق سندات الآنسة وايتفليت ! !

— وهل فى استطاعتك ان تثبت عكس ذلك ؟

فاصفر لون برترام . . ولم يجب واستطرد ستابليتون : اصغ الى يابرترام . . اذا فرض وذهبت للوشاية بى فان أحدا لن يصغى الى شهادتك . . فقد قضيت ثلاثين عاما وأنا على اتصال بمختلف المؤسسات التجارية والصناعية ، وليس فى استطاعة أحد ان يأخذ على اى نقص أو تلاعب فى سجل اعمالى . . ومن أنت ؟ شاب مستهتر متبطل . . فمن أين يأتيك المال ؟

فقطب برترام حاجبيه مفكراً . . وقال :

— انك داهية ياستابليتون . فقد استطعت ان تغطى أعمالك الوضيعة ببراعة . . والفضل على كل حال للوبين لأنه قدم اليك المعونة المثمرة فى الوقت الملائم . . قد تلام على اهمالك ، ولكن لا شيء أكثر من هذا . . بالطبع أنت لم تسجل السندات ، فقد كان فى نيتك أن تستولى عليها منذ البداية . . وأمكنك ان تتصرف فيها بوسيلة يتعذر معها تعقب مصدرها . . وذلك هو بغير شك سبب احتفاظك بها فى منزلك وعدم ايداعها احد صناديق الامانات . . كنت تعتزم اعلان نبأ سرقة ولووهمية وضياع السندات . . ومن المحتمل ان زيارة أرسين لوبين الأولى قد أوحت اليك بشيء من هذا القبيل . ولكن مسيو لوبين أعاد الكرة ، وجنبك مئونة التفكير . . حقا انك لص محظوظ ياستابليتون .

فقال ستابليتون بدوره : وأنت محتال تعس غير موفق . . أوه ! هل ينبغى ان ترحل بمثل هذه السرعة ؟ ! وفرغ ستابليتون من تناول الطعام فى النهاية . . وغادر المطعم وهو يشعر بالارتياح التام . . فقد سره ان تقبل برترام الهزيمة باستسلام . . وأيقن ان موقفه قد تحسن كثيرا وأصبح فى مأمن من كل هجوم . وانطلق الى مكتبه بعد ان هجره أسابيع برمتها . . وأومأ برأسه الى جون السورث مدير مكتبه . . وكان الشاب كالشوكة فى جنب مخدومه لانه يدس أنفه فيما يعنيه وفيما لا يعنيه ؟

كان ستابليتون قد استخدم السورث منذ بضعة أعوام بناء على توصية صديقه المرحوم واينفليت . وكان الشاب قد تخرج حديثا من الجامعة . . وأظهر نبوغا ودراية تامة بما عهد به اليه حتى وثب من منصب كاتب الى مدير مكتب . وظل ستابليتون يرقيه لكفاءته ، لأنه لم يكن بالرجل الذى يجعل لعواطفه الشخصية سلطة على تصرفاته العملية لكن كراهية ستابليتون لمدير مكتبه . اشتدت فى الفترة الأخيرة . وخاصة عند ما اتضح له ان الشاب وأوليفيا واينفليت يتبادلان الحب . وهى علاقة لم تكن لترضى ستابليتون بحال لعدة أسباب ، ومن ثم اعتزم رفض السورث من خدمته . . ولكنه لم يجد من نفسه الشجاعة على طرده حتى هذا اليوم . وضغط ستابليتون الجرس وطلب الى الحاجب ان يستدعى مستر السورث . . فلما أقبل قال له بصوت رقيق : اجلس يا السورث .

فاطاع الشاب . . واستطرد ستابليتون بصوت يفيض بالتأثر المصطنع :

— اصغ الى ياعزيزى . . انى لم أكن مرتاحا الى تصريفك الأعمال فى الفترة الأخيرة . فسأله الشاب بصراحة :

— هل ترغب فى ان أقدم استقالتى ياسيدى ؟

فاخذ ستابليتون . . لم يكن يتوقع تطور الموقف بهذه السرعة . قال :

— لعل ذلك خير وسيلة بكل أسف . كنت أشعر ان المنصب هنا لا يلائمك . نعم . . خير لك ان تستقيل يا بنى .

فقال الشاب وهو يخرج ورقة مطوية من جيبه وينشرها أمام مخدومه :

— حسنا ياسيدى . قد يهمك ان تلقى نظرة على هذه القائمة .

فصاح ستابليتون وهو ينظر الى القائمة المطبوعة على الآلة الكاتبة وما فيها من أرقام وأسماء وتواريخ : ما هذا ؟

— انها قائمة بالسندات التى بعتها فى غضون الأعوام الثلاثة الأخيرة ياسيدى

فغر لون ستابليتون فجاة . . ومر ببصره بين الأسماء والأرقام وقد تجلى اليأس على وجهه وغمغم : لست أفهم شيئا يا السورث

— بل انك تفهم كل شىء ياسيدى . . وبهذه المناسبة . هذه صورة فقط . . اما الأصل فعندى وللمرة الثانية راح ستابليتون يقرأ القائمة ، وكانت الحروف والكلمات تتراقص أمام عينيه فقد أيقن ان السر الذى حرص على إخفائه

سوف تفضحه هذه القائمة الدقيقة ..

ولكن كيف عرف السورث كل هذا ؟ بالطبع هناك سبل شتى .. ولكن تعقب أوجه تصريف السندات لم يكن بالأمر الهين .. فلا ريب اذن ان الشاب كان مطلعا على اعمال مخدومه أولا بأول حتى استطاع ان يعرف كل هذه المعلومات الدقيقة   ومضت فترة طويلة قبل ان يرفع عينيه .. ثم يقول بلهجة رقيقة :

— لعلي كنت متعجلا يا السورث .. بل الحق انى لم أكن راغبا فى استقالتك .. ولكنك أخذتني على غرة .. فلك ان تبقى إذن فى منصبك ، وسأعمل على ترقيتك ومضاعفة راتبك الشهرى .. نعم .. وقد استطيع ان أصنع ماهو خير من ذلك

فحدجه الشاب بنظرة تشف عن الغضب .. وقال :

— ليس مما يهمني ان أبقى هنا بعد الآن يامستر ستابليتون . . والواقع انني كنت اعتزم الاستقالة من تلقاء نفسي . . فقد عرض على مكتب جورهام منصبا أفضل فى الأسبوع المنصرم . . أما عن هذه القائمة فلن أذكر شيئا بشأنها لمدة أسبوع

فقال ستابليتون بصوت أجوف : أسبوع ؟ ! وبعد ذلك يا السورث ؟

فقال الشاب ببرود : انى أنصحك بتغطية قيمة السندات المباعة قبل مضى أسبوع . . طاب يومك ياسيدى . . ثم انصرف من الغرفة لايلوى على شيء . . فخطر لستابليتون ان يستدعيه ويتوسل اليه . . ولكن خانه النطق . . وظل جالسا أمام مكتبه فترة طويلة ذاهب اللب مشتت الحواس . .

كان يعلم انه من المستحيل الحصول على المبلغ الكافى لتغطية قيمة السندات لافى أسبوع ولا شهر حتى ولا سنة . . فقد كانت قيمتها تتكون من ستة أرقام . .

وإذن فقد هلك . . ان السورث لن يتردد أو يحجم عن ابلاغ النبأ للسلطات المختصة . ويدعم اتهامه بالوثيقة الأصلية والأدلة القانونية . . ومعنى ذلك فضيحته وخرابه وضياع سمعته . . وربما السجن . .

وتأوه ستابليتون من صدر مكلوم . . لم يعد لديه غير أسبوع يقضيه كرجل شريف محترم . . وقد تحدث أمور كثيرة فى هذه الأيام السبعة ولكنها لن تنقذه من مصيره المحتوم ونهض واقفا على قدميه ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا . وقد زاد امتقاع وجهه . . وتقدمت به السن خمس سنوات . .

آه . ! لو أنه استطاع ان يستعيد بطاقة البريد ! لو نجح فى ذلك لانقلب الموقف لمصلحته رأسا على عقب . . لو استطاع استرجاعها لأرغم السورث على التزام الصمت . . وغل يدى أولجا واينفايت تماما . .

لم يعد لديه شك فى أن أولجا هى التى أوحت الى لوبين بسرقة البطاقة . . لأن أحدا غيرها لا يهمه انتزاع البطاقة من يديه (أى من يدى ستابليتون) ولا ريب إذن أن البطاقة قد أصبحت الآن فى حوزتها . . أو انها ستصبح كذلك فى القريب العاجل . . فينبغى إذن أن يفعل شيئا حاسما قبل أن تجنى الفتاة ثمرة عملها . . لو فقط استطاع . . . وجلس الى مكتبه ، ورفع سماعة التليفون ثم طلب رقما معينا . وبعد ساعة دخل الى مكتبه رجلان مريبا الهيئة . . وجلسا الى مكتبه . . وعقدوا لجنة خاصة .

افاق ديل من نومه فى ساعة متأخرة على غير عادته . . ومد يده ، والتقط احدى صحف الصباح . ولكنه ما لبث ان أعادها الى مكانها عندما تذكر أن مغامرة ارسين لوبين حدثت فى وقت كانت صحف الصباح قد طبعت فيه . . وانها لن تنشر إلا فى صحف الظهر . وانفجر ضاحكا .. ونهض الى الحمام فاغتسل .. ثم ارتدى ثيابه .. وجلس الى المائدة يتناول طعام الافطار وعندئذ جاءه خادمه بلكنز .. وقال : توجد سيدة تطلب مقابلتك ياسيدى .

فهتف ديل مشدوها : أتعنى الآنسة واينفليت ؟ قل لها انى سألقاها بعد هنيهة

وفرغ ديل من تناول طعامه على عجل . . وأسرع للقاء الفتاة . وانحنى لها باحترام فابتسمت فى وجهه . . وهتفت : انى واثقة من أنك حصلت عليها .

فاخرج ديل حافظة أوراقه . . والتقط منها بطاقة البريد . . وقدمها للفتاة . . فتناولتها منه بلهفة . وفحصت وجهها . ثم تنهدت دلالة على الارتياح . وصاحت :

— شد ما أنا مسرورة الآن . لقد انتهت متاعبى . ولست أعرف كيف أشكرك

فقال ديل وهو يتأملها : لا تشكرينى . بل اشكرى ارسين لوبين .

فقالت مداعبة : وددت لو أتيح لى عناقه .

فصاح بفزع : اياك أن تفعلى ، لأنه غير معتاد عليه .

— حسنا . . سأظل مدينة له بهذه اليد البيضاء ماحييت .

وفتحت حقيبتها اليدوية . . ووضعت البطاقة بداخلها . . واخذت من جوفها الحاجز الفضى المستطيل . وأعطته له قائلة : خذ هذا هدية منى .

فصاح وهو يختطفه اختطافا : اوه ! شكراً لك . لكن ماذا ستفعلين بالبطاقة ؟

— سأحتفظ بها بالطبع . . فاذا ماتقدمت بى السن ، كانت لى تذكارا عن حادث خطير وقع لى فى شبابى . . وفوق ذلك سأكون بحاجة اليها لغرض عملى .

— أهى من الأهمية الى هذا الحد ؟ لئن كان الأمر كذلك ، فانى أنصحك بألا تحتفظى بها فى حقيبتك . فقد يختطفها منك أحد فى الطريق .

فقالت مفكرة : أصبت ياصديقى .

وأشعل ديل لفافة تبغ . . ثم ولى الفتاة ظهره . وأطل من النافذة عدة لحظات وعندما واجهها مرة أخرى كانت بطاقة البريد قد انتقلت من الحقيبة الى مكان آخر أكثر امنا سألت اولجا : هل عثرت — أو بالحرى عثر ارسين لوبين —

على شيء آخر ذي أهمية في خزانة مستر ستابليتون ؟ . — لماذا تسألين ؟

— لأن مستر ستابليتون قرر للبوليس ان ارسين لوبين سرق حزمة من السندات تبلغ قيمتها عدة ألوف من الجنيهات . . ولكنه لم يذكر شيئاً عن فقدان البطاقة . . وهو امر طبيعي .

فحملق فيها ديل طويلا . . فقالت وقد تخضبت وجنتاها بحمرة الخجل :

انني لا أصدق ان ارسين لوبين اخذ شيئاً من هذه السندات .

بل انا واثق من انه لم يفعل .

وساورته الريبة فجأة . . فسأل : هل هذه السندات هي ثروتك ؟ وهل كان ستابليتون يحتفظ لك بها على سبيل الأمانة ؟

فأومأت برأسها . . واستطرد ديل : آه ! . قد فهمت ! . كان ستابليتون يسرقك . . ولكنه وجد الفرصة للتخلص من تبعة عمله بعد زيارة لوبين لمنزله ليلة أمس ، فألقى التهمة عليه . . حقا انها حيلة بارعة . . لكن . . .

وكف عن متابعة الحديث . فقد ساوره خاطر آخر مريب ولكنه أقل وضوحا من سابقه . واستطرد بعد قليل : كان ستابليتون يعلم أنك لن تجرؤى على مناقشته في شأن السندات طالما بطاقة البريد في حوزته . . أليس كذلك ؟ ألم يكن هذا موقفك حياله ؟

فقالت الفتاة بصوت خافت : نعم . . غير ان هناك مسألة أخطر كثيرا من السندات تتعلق بالبطاقة . . انني . . . وكفت عن الكلام . .

كأنما راجعت نفسها . . أو اشفقت من الاعراب عما يجول بخاطرها .

وفي تلك اللحظة أقبل باكنر وقال : يوجد زائر يطلب مقابلتك ياسيدي

فقال ديل باقتضاب ، وقد تكهن بأنه المفتش سمرز :

— قل له ان ينتظرني في المكتبة . . حسنا يا آنسة واينفليت ؟

فبدا الاضطراب على الفتاة . . ثم قالت : خير لي ان أبادر بالانصراف

فقال ديل معترضا : كلا . . كلا . . في استطاعة سمرز ان ينتظر . . لأن الوقت كفيل بتهدئة أعصابه غضت الفتاة من بصرها . . وقالت :

— يوجد موظف في مكتب مستر ستابليتون اسمه جون السورث . . و . .

فقاطعها ديل برفق : آه . . ان اسمه مكتوب فوق بطاقة البريد

— نعم . . انه هو بعينه . . هو شاب ظريف . . و . . أظن انى سأتزوجه

فقال ديل باسما : انه شاب محظوظ

واردفت الفتاة :

— ولأمر ما يكره مستر ستابليتون مســـتر جون . . ومن ثم اعترض على صداقتنا بشـــدة وفعل ما بوسعه ليفصم عراها . . وفى الشتاء المـاضى رحلت الى القارة الأوربية مع صديقة لى ، اسمها اليزى ستيفنس وعمتها ، وطفنا ببلاد كثيرة وكنت خلال ذلك أراسل جون ، وأبعث اليه برسائلى على صندوق البريد . . وقد قضيت مع صـديقتى فترة طويلة فى باريس . وهناك التقينا بممثـلة اسمها فيرا فايلسى .. وكانت فتاة ظريفة خفيفة الروح ملمة بخفايا باريس ، فاحببتها ، وكذلك اليزى وعمتها . . ومن ثم قضينا وقتا طويلا معها . . وكانت تصحبنا فى جولاتنـا وترافقنا الى المسارح والمطاعم . . ولم يخطر لى ببال مطلقا انها من بنات الشوارع أو ذوات الدهاء ، والحيـــل . . وكلـا استعرضت المـاضى ، أيقنت انها كانت تستغل صـداقتنا فى التقرب من الأغنياء ممن كانوا يترددون على باريس فى تلك الآونة

وكان النادى البريطانى فى باريس يزمع ان يقيم حفلة تمثيلية للهواة ، وطلب الى الآنســتين اليزى وفايلسى كما طلب الى ايضا ، ان نقوم بتمثيـل أدوار معينة . . وليس فى استـطاعتى ان أذكر كيف دعينا . . ولـكن اتضـح أثنـــاء (البروفات) ان الآنسة فايلسى تستطيع ان تتنـكر فى هيئتى بحيث لا يمكن التفرقة بيننا بحال . . وقد ساعدها على ذلك اننا كنا متقاربتين فى السن وطول القامة . . فضلا عن انها كانت قديرة فى تغيير صوتها ولهجتها ، وتمثيل الحركات المأثورة عنى

وجاءت ليلة الحفلة . . ونالت نجاحا عظيما . . وقد لبثنا نعيد تمثيـل الرواية خمس ليال متوالية . . حتى خيل الى ان كل باريس قد جاءت لشهودنا

كانت الفتاة تتـكلم بحماسة متدفقـــة فلم يتمالك ديل من الابتسام . ولـكنه لم يقاطعها أو يعلق على حديثها . وآثر التريث حتى تفرغ

واستطردت الفتاة : ومنذ البداية . أخذت أتلقى رسائل الاعجاب من نبيل فرنسى اسمه الأمير بارسالون . وقد أفصح لى فى أولى رسائله عن حبه الجنونى لى . ووعـدنى بان ينشىء لى سلسلة من القصور تمتد من بحر المانش الى البحر الابيض اذا قبلت الاقتران به . . ثم ذكر أنه يقيم مع أمه فى قصر اثرى خارج باريس . .

على طريق فرساى . ثم توسل الى أن أزوره . . وكنت أضحك ملء شدقى كلما تلقيت منه احدى رسائله . . وأقذف بها فى سلة المهملات . . وقد كان خيرا لى لو أننى أحرقتها . . صفوة القول . . اتفق أن رأت فيرا فايلسى ثلاث أو أربع من هذه الرسائل — فقد كنت أتلقى عددا وفيرا منها يوميا — وهنا بدأت المتاعب

وتمهلت الفتاة ريثما تلتقط أنفاسها . . ثم استطردت باسمة :

— ارتكبت حماقة لاتغتفر يامستر ديل . . كنت طائشة يستهوينى كل ماشذ وخرج على المألوف . . ولم يكن يخالجنى الشك فى فيرافايلسى . . ثم انها عرضت اقتراحها بشكل مغر ومهارة تدعو الى الاعجاب . . فقالت ذات يوم انه ينبغى أن أقبل دعوة الأمير لاستوثق مما اذا كان حقا متلهفا على الزواج منى . . فلما رفضت اقتراحها . . وأصررت على الرفض ، اقترحت على ان تقوم بتمثيل الدور نيابة عنى بعد ان أثبتت الحفلات التمثيلية التى أحياها النادى البريطانى ان فى استطاعتها ان تتقمص شخصيتى بنجاح تام . . وقد أعجبتنى الفكرة ، ولم أجد فيها خطرا على أو مساساً بكرامتى . . فوافقت .

ولكن فيرا فايلسى لم تذهب لمقابلة الأمير مباشرة . . قالت انها تريد اعداد ثوب من طراز خاص ، يشبه تماما ثوبا كنت أقتنيه فى تلك الآونة . . وتصادف ان انتهت حفلات النادى البريطانى فى تلك الأثناء ، ومرضت عمة اليزى ، ومن ثم لزمت الفراش . وقامت ابنة أخيها بتمريضها . . وكنت قد قررت ان أقوم بجولة على الريفييرا قبل العودة الى الوطن . فاضطررت الى الذهاب بمفردى . . وقد نسيت مؤامرتى الصغيرة مع فيرا فايلسى .

وذات يوم كنت فى كان . . وكانوا يقيمون حفلة المرافع — معرض الزهور — حيث غص النهر بالقوارب المزدانة بالورد المنسق ، وفى كل قارب ملكة . . والجميع يتراشقون بالورد والزهور . . واتفق ان جاءنى أحد المصورين ، وأصر على التقاط صورتى . . وأوقفنى ، بحيث جعل ظهرى للموكب ، وبذلك استطاع ان يظهر أحد القوارب وملكته فى الصورة ومع انى قلت له اننى سأغادر كان فى المساء ، فقد أخبرنى بأنه سيعد لى نسخة من الصورة فى المساء . . وقد بر المصور بوعده ، وجاءنى بالصورة ، وكانت واضحة ظريفة . فابتعت منها ست نسخ . بعثت بواحدة لجون . ولست أذكر ما حدث للخمس الباقية . . ومن المحتمل جدا اننى فقدتها .

وغادرت كان فى تلك الليلة . . ولما كنت أرغب فى شهود أقصى مايمكن شهوده فى الوقت الباقى ، رحت أقضى الليل فى القطار ، وأتفرج أثناء النهار . . ولم أستطع فى تلك الليلة بالذات أن أحصل على سرير فى عربة النـوم ، فاضطررت الى الجلوس فى مقعدى طول الليل . . ووصلت الى باريس فى الصـباح . . واتفق بينما كنت اتناول طعام الغداء فى مطعم على مقربة من حـدائق لوكسمبرج ، أن التقطت نسخة من جريدة « الطان » ووقع بصرى مصادفة على نبأ يقع فى أربعة أسطر فى ذيل احدى الصفحات الداخلية . . وما كدت اقرؤه حتى أحسست كأن صاعقة قد انقضت على رأسى . . واذكر ان الخادم سالنى ان كنت قد أصبت فجأةبدوار .

وتوقفت الفتاة عن الـكلام هنيهة . . وعنـدئذ تذكر ذيل الصورة التى اطلعه عليها المفتش سمرز . فسأل : أكبر الظن ان النبأ المنشور فى الصحيفة ، جاء فيـه ان الأمير بارسلون قد سرق و . . .

— بل اسوأ من ذلك . . اعتقد أن فيرا كانت تقصد الى سرقة الأمير عنـدما اقترحت تقمص شخصيتى . ولـكن اتضح فيما بعد انها أقدمت على ما هو اسوأ من السرقة . . انى لم أعرف بالضبط ما حدث فى قصر الأمير . . ولـكنى عرفت من النبأ المنشور فى الصحيفة ان الأمير وجد مقتولا فى قصره ، والبوليس يبحث عن سيدة انجليزية . . وبعبارة أدق أن البوليس الفرنسى يبحث عنى

كنت أعلم ان فيرا فايلسى قد ذهبت الى القصر وقدمت نفسهـا باسمى . . ولا ريب انهـا اختفت من الوجود عقب وقوع الجريمة . . أعنى تجـــردت من الشخصية التى كانت تمثلها . وتركتنى لمواجهة النتـائج ، ولا ريب ان هـذا كان غرضها منذ البداية .

وزلزلت الصدمة كيانى . ولم أستطع ان أفهم لمـاذا لم يلق القبض على بمجرد وصولى الى باريس ، إذ لاريب ان البوليس كان عالما باوصاف فيرافايلسى عند ذهابها الى قصر الأمير . . ولما كانت الفتاة قديرة على التنكر ، فان الوصف كان ينطبق على أكثر مما ينطبق عليها . . ومن ثم تولانى الفزع وعدم الاستقرار . ولـكن العناية لم تتخل عنى فى هذا الظرف العصيب . . فالتقيت ببعض الاصدقاء ، وكانوا يقومون برحلة فى البحر الأبيض فى يخت أحدهم الخاص . . وقد دعونى لمرافقتهم فى رحلتهم ، فلم أتردد فى القبول . . وكاد يغمى على من فرط الفرح عندما

وضعت قدمى فوق ظهر اليخت . .

ولم يكن اصدقائى قد اطلعوا على النبأ المنشور فى جريدة الطان ، ويجهلون كل شىء عن المأساة . . وبالطبع كان من مصلحتى ألا أطلعهم على شىء فتركتهم على جهلهم بالحقيقة . . وفى نهاية الرحلة عدت الى الوطن . . . .

وأمسكت هنيهة . . فقال ديل : وهنا بدأت متاعبك

فظللت وجه الفتاة سحابة من الـكآبة والأسى . . وقالت :

— نعم . . لا أدرى كيف عرف مستر ستابليتون بالحـادث . . وقد حاولت ان أوضح له الحقيقة ، ولـكنه استخف بأقوالى ، وسخر منى . . قلت له اننى كنت بعيدة جدا عن باريس وقت وقوع الجريمة ، فطالبنى بالدليل على صحة ادعائى فرحت أفكر لعلى اهتدى الى دليل حاسم . . وعندئذ تذكرت ان الجريمة وقعت خارج باريس بينما كنت أشاهد معركة الزهور فى كان . . فالمسافة بين المدينتين لايقل استغراقها عن اثنتى عشرة ساعة بالقطار السريع . . وتذكرت اننى بعثت لجون بصورتى فى معركة الزهور . . ولما كانت ملامحى واضحة جدا فى الصورة ، وكذلك كانت ملامح إحدى ملـكات القوارب فقد خطر لى ان هذه الصورة قد تصلح دليلا لايمكن دحضه أو نفيه .. ومن ثم ذهبت الى جون ، وسألته ان كان يذكر أمر هذه البطاقة ، فقرر لى قطعا انه لم يتلق بطاقة من هذا القبيل . . وبذلك ضاع أملى الوحيد . وخشيت ان تكون البطاقة قد ضاعت فى البريد .. ولـكن جون قال لى انه من المحتمل ان مستر ستابليتون عثر عليها ، واحتفظ بها لنفسه . .

وكان من الطبيعى ان أحدث جون بـكل الظروف . وحدثنى بدوره عن أمور لم تخطر لى ببال . . فقال لى انه واثق تمـاما ان الوصى على يسرقنى . . ومع انه لم يكن يملك الدليل على ذلك ، إلا انه أعرب عن أمله فى الحصول عليه فى المستقبل القريب جدا . . ولم أستطع ان أصـدق ماسمعت . . وعندما تدبرت الأمر مليا ، وافترضت صحة اتهامه . . تبلجت لى الحقيقة وأيقنت انه لاريب يهم سـتابليتون كل الأهمية الحصول على الصورة والاحتفاظ بها لتـكون وسـيلة لتهديدى اذا حدثتنى نفسى باماطة اللثام عن اختلاسه أموالى . . وعندئذ . .

فقاطعها ديل قائلا : مهلا . . كيف عرف ستابليتون ان البوليس يبحث عنك لاتهامك بقتل الأمير ؟ قد فهمت من حديثك ان اسمك لم يذكر .

فقالت الفتاة مفكرة : هذا صحيح .. ولكنني فى الواقع لاأعرف كيف أحاط ستابليتون بالقصة . ولكن الذى يهمنا هو انه عرفها واستغلها استغلالا مشينا لمصلحته .. يحتمل ان يكون قد رأى صورتى فى كان ، ولاحظ التاريخ على خاتم البريد ، فأيقن انها كافية لدفع تهمة القتل وتبرىء ساحتى .. ومن ثم احتفظ بها .

فغمغم ديل من بين أسنانه : يا للوغد ! ألم تسأليه ان كان قد رأى الصورة ؟

— آه ! نعم .. ولكنه راوغنى .. فلم يؤيد أو ينف رؤيتها أو احتفاظه بها .. ولكنه لمح لى بأنها قد تخرج الى عالم الوجود اذا وقعت على وثائق معينة .. ولكننى رفضت باصرار .

— أحسنت صنعا يا آنسة .. ان وجود دليل براءتك فى حوزة ستابليتون ، كان سلاحاً قاطعا فى يده يمكنه فى أى وقت من احراجك .. وبهذه المناسبة .. هل أعطيت الأمير بارسلون احدى صورك ؟

— كلا . . بالطبع .   — عجبا ! لقد بعث البوليس الفرنسي باحدى صورك الى بوليس نيويورك ، وطلب الى سلطاتها ان تبحث عنك . . وقد رأيت هذه الصورة أمس فقط . . اننى لا أفهم لماذا . . آه ! نعم . . أظن اننى وصلت الى الحل . . تنكرت فيرا فايلسى فى هيئتك . ثم ذهبت الى أحد المصورين ، فالتقط صورتها . . ومن ثم أهدت نسخة منها الى الأمير . . ويحتمل انها ظنت ان فى استطاعتها تدعيم الريبة حولك بوساطة هذه الصورة . . ومن المحتمل أيضا ان البوليس عثر على الصورة فى غرفة الأمير عقب ارتكاب الجريمة ولاريب ان الظروف جعلته يعتقد انها صورة القاتلة . وبرغم ان اسم صاحبةالصورة كان مجهولا ، فانه لم يتردد فى اخراج عدد كبير منها بعث به الى بوليس القارتين الاوربية والامريكية ، وطلب اليه البحث عن صاحبتها ، وانى اذكر الآن اننىلاحظت تغييرا طفيفا جدا بين وجهك ووجه المرأة التى أطلعنى سمرز على صورتها . . فلعل هذا هو سر المعضلة كلها .. وعلى كل حال يبدو ان فيرا فايلسى كانت تقوم بخطة مرسومة فى مؤامرة مخطرة . لكن هأنت تتخلصين من متاعبك نهائيا . . وعلى أحسن ما تريدين .   فغمغمت الفتاة باسمة :

— شكرا لك على هذه الخاتمة السعيدة

فقال ديل مصححا على عجل : بل شكرا لأرسين لوبين . اذا تصادف وقابلته.. وفجأة . فتح باب الغرفة .. ونفذ منه المفتش سمرز

قال معتذرا : انى آسف .. لم اكن أقصد ....

وما كاد بصره يقع على الفتاة حتى كف عن الكلام وحدق فى وجهها مشدوها وما لبث ان قطب حاجبيه .. وعندئذ نهضت الفتاة .. وبسطت يدها الى ديل . . وغمغمت : أشكرك .. الى اللقاء !

وهرولت من الغرفة قبل ان يجد ديل متسعا من الوقت لمرافقتها الى الباب . . وأطل سمرز من النافذة قليلا . ثم تحول الى ديل .. وقال بسخرية :

— انها الفتاة المطلوبة   فقال ديل بهدوء : لا تتسرع فى الحكم ياسمرز

— صه .. فقد سئمت مراوغاتك المقوتة . اين تقيم هذه الفتاة ؟

فاجاب ديل صادقا : لا أعلم .. ولو كنت أعرف عنوانها لما أفضيت اليك به

— ليكن . . ان أحد رجالى كان واقفا أمام بابك .. فلما خرجت الفتاة

أشرت اليه ان يتبعها .. ولن تمضى ساعتان حتى أعرفه .

فهتف ديل : انك أحمق ياسمرز . . هلم بنا الى المكتبة . . فقد يستطيع باكنز أن يأتيك بكأس من الخمر تهدىء من ثائرتك .

وبعد أن تناول المفتش كأسا وانفثأ غضبه قال : لقد خرج ارسين لوبين أمس على صمته . — أحقا ؟! وكيف ذلك ؟ هل لك أن تقص علينا ما فعله .

— أقص عليك ! ! ها ! ! حسنا . . سأحدثك بما تريد ولو انى أعتقد أن فى ذلك مضيعة للوقت . وحملق فى وجه ديل ، ومضى يسرد عليه حوادث الليلة الماضية بايجاز .. وختم حديثه بقوله :

— كانت حيلة بارعة التى فر بها اللعين !

— وهل تعتقد حقا ان أرسين لوبين استولى على السندات ؟

— لا شأن لك باعتقادي . . على العموم . . ان أكثر ما يحيرنى هو كيف استطاع أن يتخلص من القيد .. أعندك رأى أو فكرة فى هذا الشأن ؟

فتظاهر ديل بانه منهمك فى التفكير .. ثم أجاب بعد هنيهة :

— انى لا أعرف شيئا كما تعلم .. ولكن ألم يكن بالقيد أى خلل ؟

— كلا على الاطلاق .. انى على استعداد لأن اقسم انه كان سليما .

وللمرة الثانية تظاهر ديل بانه ينعم النظر فى المعضلة .. ثم قال :

— لقد انقضى عهد طويل وأنت تطارد أرسين لوبين . . وطالما أعربت عن املك القوى فى أن يكون اقتناصه من نصيبك وحدك . . ولا شك ان هذ الشيطان قد استغل هذه الفرصة لمصلحته . . فالمفروض إذن بعد تصريحك المتكرر أنه لو قبض عليه . . فلن ينال أحد غيرك هذا الشرف الرفيع ..ومن هنا كان من المحتم أن يكون قيدك الخاص هو القيد الذى يستعمل فى هذه المناسبة ومن ثم أعدلوبين عدته لمواجهة هذا الاحتمال . فصاح المفتش : وكيف ذلك؟

— دعنى أفكر .. ألم تحدثنى ذات مرة ، منذ حوالى عام ، عن حادث مماثل استطاع لوبين اثناءه التخلص من القيد ؟ ان لوبين ، على ما أذكر ، سلح نفسه بقيد مماثل لقيدك ، انما يختلف عنه فى القابلية للفتح عند الجذب العنيف . . وحين حاولت أن تقبض عليه ، اشتبك معك فى معركة حامية الوطيس . وجذب القيد من يدك . واستبدله بالقيد المماثل . . ثم . .

فقاطعه سمرز بضجر : ثم ماذا ؟ أظنك لاتعني انني سمحت له بتكرار الحيلة ؟

— كلا بالطبع .. ولكن تحوير الحيلة القديمة أمر مستطاع .

وتناول ديل سيجارا من الصندوق الموضوع فوق المائدة ثم قال :

— وبهذه المناسبة .. يبدو أن مديتي فقدت مني . .

فقال المفتش وهو يبرز مدية فضية مثبتة في حلقة سلسلة ساعته : استعمل مديتي .

وجريا على عادته لاحظ ديل مفتاحا صغيرا مثبتا في الحلقة . . فلمسه برفق وهو يقطع نهاية سيجاره بالمدية . وقال وهو يشعل السيجار : شكرا لك !

— حسنا .. اتمم حديثك . . كيف تخلص لوبين من القيد ؟

— لقد أريتك في التو كيف يمكن اتمام الحيلة .

فحدق المفتش في وجهه ببلاهة .. واستطرد غريمه باسما :

— انه مجرد استنتاج كما تعلم . اليس المفتاح الصغير الذي تحتفظ به في سلسلتك مفتاح القيد ؟

— نعم .. ولكن ....

— لو كانت في يدي قطعة من الشمع لطبعت صورة المفتاح فوقها وأنا استخدم مديتك في قطع طرف سيجاري . ففغر المفتش فاه دهشة .. وأردف ديل :

— من السهل اذن صنع مفتاح آخر للقيد .

فاومأ المفتش برأسه ببطء واكتئاب ، واستطرد ديل :

— وفي استطاعة رجل مقيد ان يستعمل مفتاحا باسنانه . . ألم تحدثني بان لوبين أسقط مصباح القراءة من فوق المكتب وحطمه . فساد الظلام الغرفة .

وهنا بلغ الحنق من المفتش مبلغا عظيما . فلم يتمالك من النهوض . . وقال وهو يعض على ناجذيه : آه ! قد تذكرت الآن .. منذ حوالى ثلاثة شهور كنا نتناول طعام الغداء معا .. وطلبت الى ان أعيرك مديتي لتقطع بها طرف سيجارك .

فاجهم وجه ديل .. وصاح : انك ناكر للجميل ياسمرز

— ليكن . سوف نرى . وغادر الغرفة على عجل .

((*))

ارتاح ديل لانصراف سمرز ، ولكنه كان يشعر بقلق شديد . ذلك لاعتقاده ان ستابليتون لن يدخر وسعا . . أو يحجم عن ركوب أى مركب لاستعادة البطاقة . لأنها سلاحه الوحيد لتجنب الكارثة التي تحلق فوق رأسه .

نعم .. كان ستابليتون لا يزال مصـدر خطر عظيم على الفتـاة . . وشعر ديل بالندم لانه ترك أولجا تغادر منزله دون أن تفضي اليه بعنوانها ، ولـكن ظهور سمرز الفجائي أثار ارتباكه ، وزاد المفتش الموقف سوء حين عرف من فوره ان الفتاة انما هي صاحبة الصورة التي يبحث عنها البوليس الفرنسي. فبعث بتابعه في أثرها بمجرد خروجها من منزله . . فلا شك إذن في ان سمرز سيسبب لها متاعب جمة . . ولو ان البطاقة تكفى لاثبات براءتها . . إلا ان الاجراءات والتحريات ستقتضي مرور بعض الوقت للتثبت من صحة أقوالها

وسئم ديل أخيرا التفـكير في هـذا الموقف المعقد . فغادر منزله حيث تناول طعام العشاء في النادي . ثم عاد الى المنزل وقد صفا ذهنه وانتظم تفكيره . .

كان أهم مايشغل باله هو كيفية ارغام ستابليتون على تقرير الحقيقة . . والاعتراف بأنه سارق السندات لا ارسين لوبين . .

وما كاد ديل يدخل منزله حتى ابتدره بلـكنز بقوله : لقد جاءت السيدة ياسيدي

فهتف سيده مأخوذا : متى ؟ — منذ برهة وجيزة . . رأيتها تطل من خلال نافذة غرفة المكتبة عندما ذهبت لأسدل عليها الستار . . وقالت انها دقت الجرس عدة مرات ولـكني لم أسمعه . . وانها جاءت لمقابلتك ، فلما انبأتها انك بالخارج . قالت انها لاتستطيع ان تنتظر لأن لديها موعدا هاما . . ثم انصرفت

فشعر ديل بخيبة الرجاء .. وانصرف الى المكتبة .. وكأنما تذكر أمرا بغتة . فتحول الى الخادم وقال له : وبهذه المناسبة . . لقد لاحظت الآن ان قفل البـاب الخارجي في حاجة الى الاصلاح . . فأرجو ان تبادر باصلاحه . .

وضحك ملء شدقيه . ونفذ الى غرفة المكتبة حيث اضاء النور . . ومد يده ليلتقط إحدى صحف المساء .. ولـكنه توقف .. وأدار بصره في ارجاء الغرفة .. وتنفس مل رئتيه عدة مرات . . ثم نظر الى الستائر السميكة المسدلة على النوافذ ، والتي اعتاد بلـكنز أن يسدلها عند الغسق . . ثم جلس

وعاد يتنفس . كأنما اشتم رائحة خفيفة مألوفة في جو الغرفة . . ثم ابتسم .. والتقط الصحيفة . . ولـكنه لم يقرأ شيئا ولو انه كان يتظاهر بالمطالعة

إذن فقد جاءت الآنسة واينفليت اثناء غيبته ؟ ! معنى ذلك انها إما استطاعت ان تتخلص من تابع سمرز . أو ان التابع تعقبها الى منزله (اى منزل ديل) . .

لـكن الغرض من زيارتها كان أهم مايعنى ديل . .

ووضع مارتن ديل الصحيفة جانبا . . ثم نظر الى سطح المكتب . . وضاقت حدقتاه . . وجذب درجا . . فثانيا . . فثالثا . . كأنما يبحث عن شيء معين . . وأخيرا هز كتفيه . . وانبعث واقفا على قدميه ، وأشعل لفافة تبغ . . وتحول الى النافذة المطلة على الطريق .. وقال بصوت هادىء : ان الوقوف خلف الستائر مهمة شاقة على قدميك الرقيقتين يا آنسة وايفيلت ؟

وفى التو ، انفرجت الستائر ، وحدق ديل باعجاب فى القوام المشوق ، الذى برز من خلف الستائر . .   كانت الفتاة ترتدى ثوب سهرة أنيقا . . يظهر ملاحتها وفتنتها ، وقد طلت وجهها بالمساحيق ، وعقصت شعرها على الطرز الحديث   سالت ساخرة : كيف كشفت امرى ؟

— إنى اتمتع بحاسة شم قوية . . ومن النادر ان انسى رائحة عطرية أشمها مرة . . هل لك فى الجلوس ؟   ووضع لها مقعدا يجعلها عرضة للضوء . ولـكنها قالت :

— سأجلس فى هذا المقعد اذا سمحت . .

وجلست فوق مقعد آخر ضخم . . ثم استطردت :

— هل انبأك خادمك المضحك بانى كنت هنا ؟

فأجاب ديل ، وهو يتأملها بانعام كأنما سحرته ملاحتها : أخبرنى انك انصرفت

— لقد انصرفت فعلا . . ولـكننى عدت فغيرت رأيى . وجئت لانتظارك . كدت أدق الجرس ثانية . ولـكنى اكتشفت ان بقفل الباب خللا . . فدخلت دون عناء   فأومأ ديل برأسه . . وقال معقباً : لقد لاحظت ان القفل فى حاجة الى الاصلاح . . وطلبت الى بلـكنز المبادرة باصلاحه . . على العموم . . لقد فوجئت بوجودك هنا   — لم أستطع مقاومة الاغراء فى العبث بك لماذا تحدق هكذا فى وجهى يامستر ديل . . هل يؤلمك مرآى ؟

— كلا . . فقط كنت أدرس تأثير الضوء على لون عينيك وشعرك .. ويخيل لى انه يحدث تأثيراً ملحوظا .. بالطبع هو تأثير محسن .

فقالت بمرح : شكرا لك على هـذا الاقتراح البديع . . سوف أتذكر هـذه الملاحظة مستقبلا . . وعلى كل حال يسرنى انك استحسنت هيئتى .. فانك مشهور بسلامة الذوق فى انتقاد السيدات .

— أوه ! على فكرة . . أرجو ألا يكون قد أصابك برد عند ما بادرت بالفرار من المنزل بعد ظهر اليوم ؟ ان صوتك يبدو أجش قليلا

— هذا شيء تافه . . مهما يكن . . فالبرد ليس من الموضوعات التى تستحق المناقشة — هل تفضلين اذن التحدث عن سبب عودتك فى هذا المساء ؟ فبدت عليها الدهشة . . وصاحت : اقارىء افكار انت ؟

— تقريبا . . دعينى أطلعك على شيء ظريف .

ونهض واقفا . . ومضى الى باب فى أحد أركان الغرفة . . وأشار الى الفتاة ان تتبعه . . فترددت هنيهة . . ولكنه ابتسم لها مطمئنا . وأضاء النور .. فتبعته الى غرفة ضيقة تكاد تكون عارية عن الاثاث ولا نوافذ فيها .

وتلفتت المرأة حولها فى استغراب . وهتفت : لست أرى شيئا .

فقال ديل ، وهو يقف بينها وبين الباب : انك ترينني .. انظرى الى جيدا .. هل أبدو أحمق ؟ . — أحمق ؟ لست أفهم ماتعنى .. انك تتصرف تصرفا عجيبا . . فماذا .. وما كادت ترى النظرة المرتسمة فى عينيه حتى كفت عن الكلام . . وفر لونها . . وتغيرت سحنتها تغيرا محسوساً

وضحك ديل ضحكة هادئة . . وقال : يخيل الى انك انزعجت ياآنسة فيرا فايلسى . . فما الذى يضايقك ؟

فحدقت فى وجهه بحدة . . وهتفت : هل عرفتنى ؟

— منذ الوهلة الأولى . . انك ممثلة بارعة ، تعرفين كيف ترتدين شعرا مستعاراً ، وتتصرفين فى ملامحك ، باستعمال أقلام ملونة كى تغيرمن نتيجة انعكاس الضوء على وجهك . . حتى صوتك ، يمكنك التلاعب به كما شئت . . ولقد بلغ من دقتك انك استعملت الرائحة التى اعتادت الآنسة أولجا واينفليت استعمالها . . لكن ثم أمراً لا تستطيع حتى أبرع ممثلة محاكاته وتقليده

وهز ديل كتفيه . وسكت . . فتألقت عينا الفتاة ببريق ينطوى على الحقد والكراهية . . ولكنها سرعان ما سيطرت على عواطفها ونفضت عنها التصنع .. فبدت على حقيقتها لاشبه بينها وبين أولجا واينفليت الا شبها تافها

وقالت ساخرة : أكبر الظن انك تعشق الفتاة الغريرة

ولم يجب ديل . . كان من العبث ان يحاول اقناعها بان حبا واحدا فاشلا يكفى

لتحطيم حياة الانسان وفجأة . . انقض عليها ديل وانتزع من يدها المسدس الذى أخرجته بغتة من حقيبتها اليدوية . . فانتفضت من فرط الغضب . . وأما ديل . فضحك بهدوء . ثم وضع المسدس فى جيبه

قالت بانفة وكبرياء : حسنا يامستر ديل . . ماذا عساك ستصنع بى ؟

— انهم يبحثون عنك فى فرنسا لاتهامك بجريمة القتل .

فهزت كتفيها غير مبالية . . وقالت : وماذا فى ذلك ؟ ان البوليس الانجليزى لا يستطيع أن يقبض على . . وأكثر ما يستطيعه هو أن يطلب إلى مغادرة البلاد وأنا لا اعترض على ذلك . . وحتى لو قبض على بوليس باريس فانه لن يستطيع ادانتى . . لأن الصورة التى عثروا عليها فى غرفة القتيل هى دليله الوحيد . . وهى لاتشبهنى فى شىء . فقال ديل وهو يتأملها بانعام : أحقا ؟ . قد تكون حقيقة غير مشابهة لك وأنت فى شخصيتك الحقيقية . . ولكنها تشبهك تماما عندما تتقمصين هيئة الآنسة واينفليت ، كما فعلت يوم قتلت الأمير . والليلة أيضاً . . لماذا قتلته . ؟

— كان أحمق مأفونا ! ! لم أكن أقصد قتله .. فقط أردت ان أسرق بعض جواهر رأيتها موضوعة فوق نضد قريب . ولكنه ضبطنى ، وحدثت بيننا مشادة حامية . . وانتهى كل شىء قبل أن ادرك ماحدث .

ومد ديل يده خلسة . وضغط زرا قريبا منه . ثم قال : وبعدئذ هربت الى هنا

— كلمة (هرب) لاتفى بالمعنى المقصود . . فقد جئت على مهل . . كنت اعلم ان رجال البوليس يبحثون عن الآنسة واينفليت ، لاعنى . وكم ضحكت لتغفيلهم !

فقال ديل وهو يكبت عواطفه الثائرة : وعندما جئت الى هنا اتصلت بمستر ستابليتون . . لماذا فعلت ذلك ؟ .

فرمقته بنظرة عداء ساخرة .. ولم تجب . . فسألها :

— لا ريب انك لم تذهبي اليــه على اعتبار انك أوجلا واينفليت . لأنه من الحماقة بمكان . . لكن من يدرى لعلك فعلت ذلك . . ومن ثم فطن ستابليتون الى الحيلة . . وعندئذ . . . وتوقف ديل عن الكلام هنيهة ريثما يتم بناء نظريته . . ثم استطرد : وعندئذ وحدتما جهودكما . . ان هذا التعليل يفسر لى مسألة أعيانى التفكير فيها . . ادخل يابلكنز .

ذلك ان الخادم جاء على رنين الجرس . . فهمس ديل فى اذنه بضع كلمات . . فهرول من الغرفة . . ونظرت المرأة الى ديل بارتياب .

فسألها بلهفة : لماذا جئت الى هنا الليلة يا آنسة فايلسى ؟

فهزت كتفيها وأجابت : ألا تستطيع ان تتكهن ؟ بالطبع جئت لأحصل على البطاقة . فرماها بنظرة طويلة تنطوى على الريبة ، فضحكت ساخرة وقالت : لاتتطلع إلى هكذا . . انى ومستر ستابليتون يفهم أحدنا الآخر جيداً . لم يكن من المتعذر التكهن بما حدث للبطاقة بعد ان خرجت من خزانته . . فان النادر من الناس من يهتم ببطاقات البريد . . وقد راقبنا الآنسة واينفليت وعندما جاءت الى هنا اليوم للمرة الثانية كان بعض الناس يتأثر خطاها .. ولكنها هزأت منا . . لأن البطاقة لم تكن معها .

فحملق ديل فى وجه محدثته . وسأل باكتئاب : وكيف عرفت ذلك ؟

— لأننا فتشناها . . انها فتاة عنيدة لم نستطع ان نقنعها بالتنازل عن البطاقة . ومن ثم . . . فصاح ديل بصوت أجش :

— هل تعنين انكم تربصتم للآنسة واينفليت ؟ .

— أوه ! لماذا هذا الانزعاج يامستر ديل . . أرجوك ان تترك ذراعى . فلا فائدة ترجى من استجوابى . . لقد ظننا انه من المحتمل كثيرا ان تكون البطاقة هنا . . ومن ثم جئت لزيارتك وانا ارجو ألا تكتشف حقيقتى ، اذا فرض وفاجأتنى وأنا افتش منزلك و . . . وأمسكت المرأة عن الكلام ثانية . . فقد أقبل بلكنز فى تلك اللحظة . . وهو يحمل عدة قطع من حبل سميك .

وجحظت عينا المرأة . ولكن ديل لم يأبه لها . . وانثنى الى خادمه قائلا :

— من المحتمل أن تلجأ هذه المرأة الى القوة يابلكنز . . ومن الضرورى الاحتفاظ بها هنا . فقال بلكنز بخضوع تام : حسنا ياسيدى .

وأرغم ديل المرأة على الجلوس . . وأشار الى بلكنز ان يقيدها . فأتم الخادم مهمته على الوجه الاكمل .

وبعد انصراف بلكنز . تحول ديل الى المرأة الغاضبة وقال لها : لن اكممك . وفى استطاعتك ان تصيحى كما تشائين . واذا اتفق وسمعك أحد رجال البوليس فقولى له ان اسمك فيرا فايلسى وبذلك تهونين كل شىء (وضحك) . أقول لك

الحق انني قصدت من شد وثاقك ان ابقى على تنكرك .. فان صديقى المفتش سمرز يسره أن يراك هكذا   فكفت المرأة عن كل مقاومة . . وحدقت في وجه ديل بذعر .. وقد تبلجت لهـا حقيقة نواياه .. ولكنه هز كتفيه استخفافا وغادر الغرفة ثم أغلق بابها خلفه . .

كان كل شيء يسير على ما يرام .. ولم يكن يقلق ديل غير مصير اولجا واينفليت والبطاقة . . ومن ثم عول على الاتصال بالمفتش سمرز ، ودعوته الى منزله . ثم يفضي اليه بقصة اولجا واينفليت ويقدم له فيرا فايلسى مصداقا لقوله

وقصد الى غرفة مكتبه .. وهم برفع السماعة ، لكن جرس التليفون دق فى تلك اللحظة ، وما كاد يضع السماعة فوق اذنه حتى انتفض .. ذلك انه سمع صوت أولجا واينفليت وهى تقول بفزع : مستر ديل ؟! أوه . تعال سريعا . . فى منزل مستر ستابليتون رقم ٤٩ شارع بكنجهام ....

وفجأة . كفت الفتاة عن الكلام .. وسمع ديل قرقعة عالية من الناحية الأخرى . كأنما انتزع أحد السماعة قسرا من يد الفتاة فسقطت فوق الارض .

وظل ديل جامدا فى مكانه .. وقد تراءت له شتى الخواطر والأخيلة الشريرة ، وأخيرا أعاد السماعة الى مكانها .. وركض خارجا من الغرفة

« * »

وبعد ربع ساعة هبط مارتن ديل من سيارة تاكسى على مقربة من شارع بكنجهام .. وأخذ يبحث عن المنزل رقم ٤٩ ، فلما عثر عليه . الفاه معتما هادئا .. فلا حس ولا حركة .. فتبادر الى ذهنه ان اولجا أخطأت ذكر الرقم .. ولكنه ما كاد يدور حوله .. ويقف أمام احدى نوافذه . . حتى بلغ مسامعه صوت خافت جدا صادر من خلف الزجاج .. فايقن ان المنزل مأهول .. ونشط للعمل .

واخرج من جيبه حقيبة أدواته الثمينة ، وأخذ منها أداة رفيعة عالج بها مزلاج النافذة حتى فتحها .. ثم تسلق الى الداخل ، وأغلق النافذة خلفه .

وتمهل قليلا حتى اعتادت عيناه الرؤية فى الظلام .. ثم أخذ يتجول من غرفة الى أخرى .. ولكنه ما لبث أن توقف فى سيره . . وأصاخ السمع . . وعندئذ أيقن أن شخصا يتأثره . ولكن فى حذر وهدوء .. فعول على التخلص منه .

قال بصوت خافت جدا : من هناك ؟

وفي الوقت ذاته وثب جانبا . . إذ كان يعلم أن مراقبـه سيحاول الانقضاض عليه مستعينا باتجاه الصوت .. وفعلا ، تحقق ما توقعه .. إذ ما لبث ان رأى الرجل يرفع يده فوق رأسه . ويتحفز للهجوم . فلم يمهله ، وانقض عليـه . . فقبض على يده المرفوعة في الهواء .. وثناها بكل قوته . . فصرخ الرجل من الألم وسقط من يده شيء أحدث صوتا رهيبا عند ارتطامه بالأرض . . ثم قبض بيده الأخرى على عنق غريمه . . وكال له لكمة ساحقة فوق فكه . . فتهالك الرجل فوق الأرض فاقد الوعي . وأشعل ديل عودا من الثقاب ، فرأى فوق الارض قبضة من الحديد ، لو أن الرجل لطمه بها لهشم جمجمته .. وعلى مقربة منهـا تمدد رجل كئيب المنظر ، ترتسم على وجهه أمارات الغدر والخيانة .

وركع ديل بقرب الرجل .. وفحصه بعناية . . وعندئذ أيقن أنه لن يعود الى

رشده إلا بعد انقضاء فترة طويلة .. ومن ثم نهض واقفا على قدميه .. وتمهل قليلا وهو يرهف أذنيه . . ولكن السكون كان مستتبا والهدوء شاملا

واستأنف رحلته ، وصعد الى الطابق العلوى ، وتوقف أمام أول باب صادفه . وبقى لحظة ساكنا . . فلما لم يشعر بما ينم عن الحياة حوله تملكه العجب ، ولكنه لم يخرجه عن حذره . . ففتح الباب بهدوء وحرص . وما لبث أن تهلل وجهه . . ذلك انه انبعث من الداخل شعاع من ضوء . . وسمع شخصا يتكلم . ولكنه لم يستطع أن يميز حديثه لبعده عنه . ونفذ الى الغرفة . . ثم تقدم من الباب الداخلى الذى كان ينبعث من خلفه الضوء والصوت . . وعندئذ استطاع أن يلاحظ ما فى صوت المتكلم من حقد وذعر .. ورأى كولبى ستابليتون امام مكتب صغير أنيق وهو يتكلم هنيهة ، ويصمت أخرى كأنما يتلقى ردا ممن يتحدث اليه .

ألقى ديل نظرة شاملة حوله فلم يجد بالغرفة غير ستابليتون فدهش .. وتبادر الى ذهنه ان الرجل قد جن . سمعه يقول بصوت مخيف :

— كلا ياعزيزتى ، إن رجلا فى مثل مركزى لا يحجم أمام أى اعتبار .. بل لعله لا يحجم عن ارتكاب جريمة قتل اذا اضطرته الظروف .

وانتفض ديل . . وأعقبت ذلك فترة صمت . . فكاد يجن . . لوثوقه من أن ستابليتون كان يصغى الى رد من يتحدث اليه . . لكن أين هذا الشخص ؟ ! ان الغرفة خالية تماما إلا من ستابليتون . وعاد هذا يقول : كلا .. هذا أفضل فقد يحدث مالا تحمد عقباه اذا أصررت على عنادك . . شىء لا أحب ان أراه . . انى لا أستطيع أن احتمل أكثر من ذلك فان أعصابى . . .

وتهدج صوته ، فكف عن الكلام . بيد أن ديل فطن الى المعنى الذى يقصده من هذه الكلمات .. فأحس الذعر يتمشى الى قلبه . . بعد ان أدرك على الفور من أن الشخص الذى يتهدده الرجل هو أولجا واينفليت بعينها .

واستطرد ستابليتون بعد هنيهة : ألا تفهمين الموقف ودقته ؟ انى فى طريق الشيخوخة .. وليس فى طاقتى ان أحتمل وطأة العار .. والبقاء شهرا واحداً فى السجن يكفى لتحطيمى ، بل وقتلى .. وتفاديا لهذا لن يهمنى أن . . .

وللمرة الثانية ماتت الكلمات على شفتيه .. فغمغم :

— نعم .. لن أحجم عن ارتكاب هذه الجريمة !

وساد الصمت مرة أخرى .. صمت مخيف لم يكن يعكره غير صوت تنفسه الأجش . أردف : أتقولين انك لا تقيمين وزنا للمال ؟ وان فى استطاعة جون أن يحصل على دخل لابأس به ؟ اذن لماذا ... اوه . انك تخشين ان أستعين بحادث باريس على اذلالك .. ولكنى أقسم لك بشرفى الا أفعل شيئا من هذا .

كان ستابليتون يوجه حديثه الى أولجا وابنفليت ، وأيقن ديل ان الفتاة سجينة فى غرفة ما فى القصر بحيث يصلها حديث الرجل ، ويسمع ردها عليه بطريقة سرية .. وكان واضحا انه يهددها بالقتل إن لم تذعن لمشيئته .. وانها أخذت تضعف أمام تهديده .. لكن أين الفتاة ؟؟

وقبل ان يتمكن ديل من التفكير فى الرد على هذا السؤال .. سمع صوت ستابليتون يقول : ديل ؟ من هو ديل ؟ حسنا .. لا بأس .. لقد رآك بعض الناس وأنت تغادرين منزله .. ومعك البطاقة ، وكان فى حقيبتك غلاف .. سجلت فوقه عنوانا .. وقذفت به فى صندوق البريد ..

وضحك ستابليتون ضحكة جهنمية ، واستطرد : كذبت . انى أعرف من الشخص الذى كان يتعقبك .. ثم انك لم تتوقفى عند أحد صناديق البريد . أعرف ذلك قطعا .. والآن . اذا لم ... ماذا ؟ أوه .. تقولين انه تصادف ان مر بك أحد سعاة البريد . فانتهزت الفرصة ، ووضعت الرسالة خفية فى حقيبته .. ربما .. نعم . هذا محتمل . لكن ما العنوان الذى بعثت اليه بالرسالة ؟

كان ستابليتون ينتفض من فرط الانفعال .. وعيناه تحدقان فى الفضاء

— آه ! ارسلته الى جون السورث . كان ينبغى أن أتوقع ذلك .. سوف يأتى السورث الى هنا بعد دقائق قلائل ، والموقف يتوقف على قراره . سوف نرى ....

وساد الصمت مرة أخرى .. وما لبث ان مزقه صوت أشبه بصوت باب يغلق فتحسس ديل المسدس الذى انتزعه من فيرا فايلسى فى جيبه بدافع من الغريزة .. ثم فحصه على الضوء الضعيف الذى كان ينبعث من فرجة الباب وما لبث ان وضعه فى كمه .. بحيث يسهل عليه اخراجه عند الطوارىء

وبعد هنيهة سمع وقع أقدام مقبلة .. فتراجع الى أقصى ركن معتم فى الغرفة .. فقد أيقن من وقع الاقدام ان السورث لم يأت وحده .. وان معه شخصا

غير ذلك الذى صرعه فى الغرفة السفلية .

ومر الرجلان من أمامه دون ان يراه . . وكان أحدهما قصير القامة بدينا . والآخر متين البنيان عريض المنكبين .

قال ستابليتون لأحد الرجلين : فى استطاعتك ان تنتظر فى الخارج يابوجارت

فغادر الرجل القصير الغرفة . . وجلس فى الغرفة الخارجية . وأشعل لفافة تبغ .

وتقدم ديل كالشبح حتى اقترب من فرجة الباب . . وحرص على ألا يراه أجير ستابليتون . . فسمع هذا يقول : لقد بعثت فى طلبك يا السورث

فقال الشاب باقتضاب : وهأنذا قد جئت . . اننى لم أطمئن الى نظرات رسولك . ولكننى جئت برغم ذلك .

وحدق ستابليتون فى وجه السورث . . وراح يعبث باداة معدنية لم يتبينها ديل من مخبئه ، ولكنه تكهن بأنها مسدس . لعله كان يؤمل ان يبعث منظره الذعر فى قلب الشاب فيستسلم من تلقائه .

قال ستابليتون بلهجة صارمة : أنبئنى يا السورث . . هل ذكرت لأحد الموضوع الذى تناقشنا بشأنه حديثا فى مكتبى ؟

— أتعنى السندات ؟ ان أولجا تعرف الحقيقة . . ولكنى لم أبح بها لأى مخلوق آخر . . فقد وعدتك بالانتظار أسبوعا .

— نعم . . وماذا ستصنع بعد ذلك يا السورث ؟

— إما ان تعيد للفتاة ثروتها أو تذهب بقدميك الى السجن . .

فابتسم ستابليتون ابتسامة رهيبة . . وعبث بالمسدس فى حركة ذات مغزى . . وقال : يخيل إلى انك عنيد . . انك تأمل فى الزواج من الآنسة واينفليت . . وعندما تصبح زوجها سيكون من حقك الاشراف على ثروتها . . وهذا يوضح . .

فقاطعه الشاب بحدة : كلا . . فى استطاعتنا ان نعيش بغير ثروتها . . ليس هذا هو مايعنينى من الموقف . . ولكنى أشعر بأنه ليس من العدل ان تنجو من العقاب وأنت لص كبير . .

— مهلا . . مهلا . . ان الكلمات الطائشة لايمكن ان تبلغ المرء أغراضه . . ان الآنسة واينفليت لاتنظر إلى الموقف بمثل منظارك . . انها على استعداد لأن . . . تصفح . . وتنسى

— لاريب عندى فى انك تكذب

— هذا لأنك لاتفهم حقيقة

الموقف . . إصغ الى ياالسورث . . ان هذه الليلة فاصلة فى حياتى . . ولكنى سأرغم الظروف على التطور لمصلحتى .. ان ثلاثة أشخاص فقط ، غيرى ، يعرفون ماذا حدث للسندات . . أنت والآنسة واينفليت ، وشخص ثالث لاخوف منه ، وأما أنت والآنسة واينفليت فمن المستطاع ان أقنعكما بالتزام الصمت .. وقد وافقت الفتاة فعلا على ان تقبل حكم العقل . . فماذا ترى أنت ؟

— أرى ان تذهب الى الشيطان يامستر ستابليتون . . ليس فى نيتى ان أفاوض لصا نذلا فابتسم ستابليتون ابتسامة باهتة . . وسأل : على فكرة . . هل تلقيت رسالة بالبريد ؟ فبدت الحيرة على وجه الشاب . . وسأل بدوره : رسالة ! أية رسالة ؟ — دعنا منها إذن . . من المحتمل ان تصلك غداً صباحا . . انى اعتقد انه من المستطاع الاعتماد على وعد يصدر منك .. فهل تعدنى بألا تذكر أمر هذه السندات لأحد ؟

— كلا . . فقال ستابليتون باصرار : بل ستفعل .. ولكن ينبغى اقناعك أولا ، وبهذه المناسبة . . هل اتصلت بك الآنسة واينفليت الليلة تليفونيا ؟ فحملق الشاب فى وجهه ، وقال : كلا . . اننى لم أعد الى منزلى الا من منذ نصف ساعة .. لكن لماذا هذا السؤال ؟

— لقد اتصلت الفتاة بشخص ما .. ولست واثقا مما اذا كانت قد أبلغته أية رسالة قبل أن يتدخل شخص ، وينتزع السماعة من يدها . لكن لا بأس . . فان هناك رجلا يراقب الطابق الأرضى . .

ولم يتمالك ديل من الابتسام . . عنـــدما تذكر المحادثة التليفونية بينــه وبين الآنسة وايفليب . والمعركة التى نشبت بينـــه وبين الرجل الذى تحدث عنه رب الدار ، وانتهت بصرعه صاح السورث بحدة : ماذا تعنى ؟

وأتى ستابليتون بحركة من يده الطليقة ، وخيل لديل انه ضغط زرا خفيا . . وقال : اصغ . فمال السورث الى الأمام بغير مبالاة فى بادىء الأمر . . ولـكن ما لبث ان تقلص وجهه ، وبدا عليه الاضطراب . . فالذعر . ووثب واقفا على قدميه . فايقن ديل انه لا ريب سمع صوتا . لم يصل الى سمعه هو (أى ديل) وان هذا الصوت جعله يثب واقفا . صاح الشاب وهو يتلفت حوله :

— انها أولجا ! وهى تصرخ وتستغيث . أين ...

فقال ستابليتون وهو يسدد المسدس الى صدر الشاب مهددا : اجلس ياالسورث انك عاجز هنا ، ولن تصاب الآنسة وايفليت الآن بسوء . فقط هذا تحذير

— أين هى ؟ ! أين هى ؟ ! — لا تسلنى . . انك لن تعثر عليها مهما فعلت . . أؤكد لك انه لن يصيبها أى مكروه اذا لزمت جادة العقل . وإلا . . .

فرماه الشاب بنظرة يتطاير منها شرر الغضب . وقال : انك تعتزم قتلها .

— اجلس . . قلت لك ان الليـلة سيتقرر مصيرى . فاعلم إذن اننى لن أحجم عن أى شىء فى سبيل طمأنينتى . . ساقتل الفتاة وأقتلك أيضا اذا لم تدعنا . . لا . بل سيقتلـكما غيرى . . لأنى رجل ضعيف ولا تحتمل أعصابى هذا العبء الثقيل . بل ولا رؤية جريمة ترتـكب . . شـكرا لمالك المنزل السابق . . انى استطيع التحدث الى الآنسة وايفليت ، وأنا اعلم ماذا يصيبها دون أن اؤذى عينى بمناظر أكرهها . ففى المنزل أنابيب للحديث . . إحداها مثبتة بمهارة فوق سطح هـذا المـكتب . . ثم ان تحت تصرفى بعض الرجال . . وهم على استعداد لوضع حد لهذا الموقف البغيض عند أول اشارة تصدر منى .

وفجأة . . انقض الشاب على ستابليتون ، فصرخ هذا صرخة مدوية .

ونسى ديل دقة موقفه ، فبرز من مكمنه ، وركض الى الأمام ورأى السورث ينتزع المسدس من يد غريمه . . وانطلقت منه رصاصة أصابت سقف الغرفة

وفجأة . . شعر ديل بلطمة ساحقة تصيبه فى مؤخر راسه . . فترنح . . وسقط فوق الارض فاقد الوعى . .

وكان بوجارت هو الذى لطمه هذه اللطمة القاسية .

((٥))

فرك ستابليتون يديه ، وارتسمت فى عينيه نظرة تنطوى على الغضب ، ثم قال :

— هل أنت واثق من انك أحكمت قيده يابوجارت ؟

ففحص بوجارت الحبال التى قيد بها معصمى وقدمى ديل . . ثم قال بكبرياء :

— لاتقلق من هذه الناحية ياسيدى . . إنه لن يستطيع التخلص من هذا القيد

— من هو يابوجارت ؟ — أنا لا أعرفه ياسيدى

— وكيف دخل الى هنا ؟ — وما يدرينى . . ان جانى يراقب الطابق الأرضى . . فلعل سنة من النوم استولت عليه .

— وهل وثقت من انه لا يحمل سلاحا ؟ — نعم .

فبدا الارتياح على وجه ستابليتون . ثم حول بصره الى السورث وكان ملقى فوق مقعده ، يكاد رأسه يلمس الأرض وسأل : هل مات يابوجارت ؟

— كلا . . فقط خدش المقذوف خده . . وسيظل فاقد الرشد وقتا طويلا . . اذا اردت تخلصت منه فى الحال ففكر ستابليتون هنيهة . . ثم قال :

— كلا . . فى هذا الكفاية الليلة ! وأخرج حافظة أوراقه من جيبه . . وتناول منها ثلاث ورقات مالية من فئة الخمسين جنيها . وقال :

— هذه مائة وخمسون جنيها ، أجرك وأجر صديقيك حسب الاتفاق . والآن ابحث عن زميليك وانصرفوا . . فلم تعد لى بكم حاجة بعد الآن .

فحملق الرجل فى وجه محدثه وهتف : هل ستنهى كل شىء بنفسك ؟ ! على رسلك ياسيدى . وغادر الرجل الغرفة وهو يصفر بشفتيه . . وبقى ستابليتون وحده فى الغرفة . وتمهل هذا هنيهة . . حتى سمع صوت الباب العام وهو يغلق . . ولكنه لم يسمع صيحات الدهشة المكتومة التى انبعثت من فم بوجارت وزميله الثالث عند ماعثرا على زميلهما مغمى عليه . وعالجاه حتى أفاق . وأغلق باب الغرفة . . ثم أطال النظر الى ديل والسورث . وما لبث ان هز رأسه كأنما اعتزم امراً .

وانتفض الرجل فجأة . . خيل اليه انه سمع حركة صادرة من ناحية ديل . . ولكنه الفاه ممدداً حيث هو . . نخطر له انه كان واهما .

ومع انه لم يكن يعرف دبل . الا أنه أيقن ان وجوده في منزله تلك الليـلة . . يقلق باولجا وايفليت . . واذن فهو أيضا شخص خطر كالسورث سواء بسواء

وهز ستابليتون كتفيه ، ثم مشى الى احد أركان الغرفة ، وفتح صنبور الغاز ، فتسرب منه بخار معتم نفاذ ، بدأ ينتشر فيها واطفأ النور ، ووقف عنده الباب حتى استوثق من ان الغاز بدأ يملأ جو الغرفة ثم أغلق بابهـا ، وهبط الى الطابق الأرضي ، ووقف امام باب إحدى غرفه . وأدار المفتاح في القفل . ثم دخل

وما كادت اولجا تراه ، حتى وثبت الى الأمام ، ولـكنها سرعان ماتراجعت مذعورة عندما تبينت وجه القادم قال ستابليتون مترفقا :

— هدئي من روعك ، فانني لن اوذيك ، بل ولن يسيء اليك أحد

والتصقت الفتاة بالجدار ، وهي تنتفض فرقا وجزعا ، وهمست بلهجة هستيرية :

— اليك عني ، انني لا أستطيع ان أثق بك ، ولا بذلك الرجل الوحش الذي كان هنا ، لقد ادركت انه جاء لقتلي . مامعنى هذا كله ؟ ! كلا . . لاتقترب مني ، وإلا صرخت . . . . فقاطعها ستابليتون : قلت لك هدئي من روعك ، فـكل شيء سيسير من الآن في مجراه الطبيعي . .

— أحقا ؟ ! الم تكن تهددني بالموت . وماهو اسوأ منه منذ لحظات معدودات ؟

— أوه ! ! فقط أردت ان أقنعك ، كل ما كنت أرجوه هو ان تخبريني باسم الشخص الذي بعثت اليه بالبطاقة ، وقد أفضيت إلي به ، فتغير بذلك الموقف برمته ، طبعا انت لن تفشي سر السندات لأحد ؟ — أوه ! انني لاعبأ بهـا على الاطلاق ، بل انني أمقتها من كل قلبي ، لست أريد شيئا ، ماهذا ؟

ونظرت الى سقف الغرفة بفزع ، وتعقب ستابليتون نظرتها بقلق واهتمام وقال مبددا على الرغم من انه سمع صوتا ضعيفا : أوه ! لا شيء البتة . . والآن هلمي بنا ياعزيزتي فانك بحاجة الى الراحة

فسألته بغتة : أين جون ؟ جون السورث ؟ قلت انه سيأتي الى هنا .

فقال بتلعثم : كان المقرر ان يأتي . . ولـكنه اتصل بي تليفونيا واعتذر من عدم الحضور لبعض شواغله فأطالت النظر الى وجهه . . وهتفت :

— اني لا اصدقك . . انت تـكذب . ماذا فعلت به ؟ اخبرني ! هل . . قتلته

وعندئذ أجابها صوت من عند الباب : لاتنزعجي يا آنسة وايفليت . . سيكون

جون هنا بعد لحظات قلائل .   وبدرت من شفتى ستابليتون صرخة دهش وذعر . . واستدار على عقبيه . . وجمد فى مكانه كالمصعوق .

وهتفت الفتاة : مستر ديل !   وبرغم اصفرار وجه ديل ، كانت الابتسامة تعلو شفتيه . . وتقدم نحو ستابليتون الذى زعزعت المفاجأة كيانه . . وسلبته كل قدرة على التفكير . . ورأى أحد جيوبه منتفخا ، فمد يده وجرده من مسدسه . . وأفرغ منه الرصاص . . ثم قذف به الى الأرض . . وقال :

— ان خطتك لم تتم ياستابليتون . . فقد أغلقت صنبور الغاز قبل ان يتكاثف فى الغرفة ويخنقنا   فغمغم ستابليتون فى اكتئاب : لكن كيف . .

— أوه ! كانت حيلة فى منتهى البساطة . . أترى هذا المسدس الصغير ؟

وعرض عليه مسدس فيرا فايلسى . . واستطرد : انه كاللعبة . ولكنه جليل النفع . . كنت احتفظ به فى كمى . . وقد اكتفى أجيرك الوغد بتفتيش جيوبى . . ومع انه قيدنى باحكام ، الا انى استطعت ان أحرك أصابعى . . فأسقطت المسدس من مكانه ، واستطعت ان أضعه بحيث تلامس فوهته عقدة الوثاق . . ثم ضغطت الزناد . فانطلقت رصاصة . . مزقت العقدة . . ما رأيك فى هذه الحيلة . ؟ ! لاريب انها بسيطة جدا . . وبوسعك ان تجربها يوما ما .

حدق ستابليتون فى وجه ديل مشدوها ، ثم تهالك فوق مقعد ، بينما استطرد ديل : وثم أمر آخر يهمك ، ان فيرا فايلسى فى منزلى ، وقد أحكمت وثاقها قبل حضورى ، واستوثقت من انها لن تستطيع الفرار

فغمغم ستابليتون فى قنوط : فيرا . . فيرا فايلسى ؟

— نعم . . أظن انها كانت آخر سهم فى جعبتك ؟ ! على فكرة ، لقد جاءتنى محاولة انتحال شخصية الآنسة وايتفليت ، وما زالت محتفظة بتنكرها . . آه . . انى أرى تابعونا هنا ! !   والتقط السماعة ، وطلب رقما ، ثم تحدث مع المفتش هرز حديثا مقتضبا   وأما ستابليتون فقد خذلته قواه ، فظل جامداً فى مكانه كالتمثال   وأخيرا تحول ديل الى ستابليتون . وقال :

— سوف يأتى المفتش هرز بعد قليل ، انه رجل ظريف . ولكنه لايرحم المجرمين   وتقدم من اوجا . وبسط لها يده بمسدس فيرا فايلسى وأردف :

— اليك هذا تذكارا لأجل حادث فى حياتك . هل لك أن تقبليه

مع تحيات ارسين لوبين ؟ ! !

القسم الثانى

الرصاصة الذهبية

نفذ كبير خدم مستر آمبرسى الى غرفة مكتب سيده . . فقد اعتاد هذا ان يقضى نصف ساعة فى هذه الغرفة بعد تناول طعام الافطار . حيث يدخن سيجارا ويفض بريده الخاص . قبل ان يذهب الى مكتبه . . وكان على بالمر (كبير الخدم) دائما ان يتفقد الغرفة قبل ان يأوى اليها سيده بقليل ليستوثق من انها منظمة منسقة

وفى هذا الصباح بالذات استرعى انتباه الخادم عدة أمور . . احدها ان النافذة لم تكن مفتوحة تماما كما كان الغبار يعلو أسطح خزائن الكتب .. ثم ان (منفضة) اللفائف لم تكن قد أفرغت مما فيها منذ صباح اليوم السابق ، وكذلك لم تكن صحف الصباح موضوعة فى مكانها المعتاد .

وأخذ بالمر يعيد كل شىء الى موضعه . . بصبر وجلد ، وقد اعتزم ان يؤنب الخادمات على هذا الاهمال الجسيم . . وكاد يفرغ من مهمته . . حين وقع بصره فجأة على المكتب ، ورأى عليه بطاقة . فالتقطها . وشرع يقرأها بدهشة فى البداية ، لم تلبث ان انقلبت الى ذعر وفزع .

وكان هذا ماقرا فى البطاقة : « أرجو ان تغفر لى جرأتى . ولكنى على استعداد لاعادة ما أخذت اذا تبرعت بعشر قيمته لاحدى الجمعيات الخيرية — لوبين »

فر لون بالمر ، ونظر الى الخزانة بذعر . حيث احتفظ مخدومه بجواهر العائلة الثمينة بما فيها العقد النفيس الذى أهداه آمبرسى لابنته بمناسبة عيد ميلادها الأخير . وغيره من التحف النادرة

وتأوه وأسرع والبطاقة فى يده الى غرفة المائدة . وكان آمبرسى يتناول طعام الافطار بمفرده حيث اعتادت زوجته وابنته ان يستيقظا من نومهما متأخرتين . .

وكان آمبرسى رجلا رفيع القامة . تبدو على وجهه مخائل الذكاء والعبقرية . كان ممن يحصلون على أعظم النتائج باقل المجهود . ونظر آمبرسى الى البطاقة التى قدمها له كبير خدمه ، وقرأها بهدوء تام . . ثم ملأ لنفسه قدحا آخر من القهوة . .

وأعاد البطاقة الى بالمر ، وقال وهو يستأنف الأكل : ابلغ البوليس فى الحو

وعجب الخادم لهدوء سيده غير العادى ، فقد كان يعلم أن عقد الآنسة آمبرسى وحده يعد ثروة فضلا عن النفائس الأخرى التى يصل ثمنها الى اكبر رقم مكون من أربع نقط . . ولكنه اذعن صاغرا واتصل بادارة المباحث الجنائية وابلغها نبأ المسرقة . ولما فرغ آمبرسى من تناول الطعام ، مضى الى غرفة المكتب ، وفتح باب الخزانة بهدوء تام ، ووقف بالمر يرقبه وهو يمد يده الى داخل الدرج الذى اعتاد ان يحتفظ فيه بالجواهر . . ثم يخرجها وفيها العقد الثمين . . فارتسمت على وجهه علامات الحيرة .. وعاد فمد يده مرة أخرى ، واخرجها مملوءة بالجواهر ، وهكذا دواليك . . والخادم يرقبه بدهشة وحيرة لا تقلان عن دهشته وحيرته . وأخيرا .. افرغ رب الدار ما فى الخزانة . ووضعها مكومة فوق المكتب وراح يتطلع اليها .. وكأنما كان يحاول الوصول الى حل لهذا اللغز الغامض

وأخيرا قال لبالمر : قل لمسز آمبرسى ان تأتى هنا .

وإن هى إلا لحظات حتى أقبلت ربة الدار . وما كادت ترى الجواهر مكومة حتى رفعت حاجبيها بدهشة وسألت : ماهذا ياويلفرد ؟ .

فقال آمبرسى وهو يشير الى الجواهر : أرجو ان تحصى هذه الجواهر وتتأكدى من انها تامة . إذ ليس فى استطاعتى دائما ان أتذكر كل ما لدينا منها

فبهتت مسز آمبرسى ، ولكنها لم تقل شيئا ، وراحت تلتقط بيدها البضة قطعة بعد قطعة ، وتلقى عليها نظرة فاحصة ، ثم تعيدها الى مكانها

وأخيرا قالت : نعم . ان القطع كلها موجودة . هل حدث شىء ؟

— أظن لا .. بيد ان بالمر عثر على بطاقة أرسين لوبين فوق ... اين عثرت عليها يا بالمر ؟ فلما انبأه كبير الخدم بانه عثر عليها فوق المكتب . قطب آمبرسى حاجبيه ، ثم تقدم من المكتب . واخذ يفحص أدراجه . بينما بدا الفزع على وجه زوجته لمجرد سماعها اسم ارسين لوبين ، ولكنها تمالكت جاشها ونظرت الى زوجها بقلق .. فقال هذا متكهنا :

— لا ريب انه سرق بعض الأوانى الفضية . اذهب وتفقدها يا بالمر

فانصرف كبير الخدم ، ثم عاد بعد عشر دقائق وقرر ان الأوانى الفضية لم ينقص منها شىء . فضحك رب الدار ، وصمت

ودق جرس الباب العام ، وبعد ثوان أقبل بالمر يعلن قدوم المفتش سمرز .

قال المفتش بعد ان أصغى لحديث مستر آمبرسى :

— اذن فقد استأنف لوبين مغامراته ؟ يااللعين ماذا سرق ياسيدى ؟

— لاشىء فيما يبدو فصاح المفتش مأخوذا :

— ماذا تقول ؟ دعنى أرى البطاقة

وتأمل سمرز البطاقة طويلا . ثم أعادها الى مستر آمبرسى ، وقرر انهـا بطاقة ارسين لوبين بغير شك وأصر سمرز على تفتيش المنزل تفتيشا دقيقاً وعاونه رب الدار فى التفتيش .. ولـكنهما وجدا كل شىء فى مكانه .

وأخيرا قال مستر آمبرسى : ألا يحتمل ان يكون لوبين قد سرق بعض الجواهر ، وترك مكانها أخرى مقلدة ؟ ففكر سمرز هنيهة . ثم أجاب :

— لا أظن ذلك . لكن دعنا نفحص الجواهر ثانية . فانى خبير فيها .

ولـكن الفحص أثبت انها حقيقية لا زيف فيها . فاسقط فى يد المفتش ، وقال :

— لا اكتمك انى فى أشد الحيرة . . اذ لا ريب عندى ان ارسين لوبين لم يزرك ويترك بطاقته عبثا . . و . . . .

وكف عن الكلام فجاة . ذلك ان باب الغرفة فتح ببطء وهدوء ، ونفذت منه الآنسة آمبرسى بقوامها الممشوق وجمالهـا الساحر ، وملامحها الجذابة وأناقتها الملحوظة . فقـال رب الدار يقدم الفتـاة : هـذه ابنتى ، اننا فى موقف غريب ياشرمين ، فقد سرقنا ، ولـكننا لانعرف ماذا سرق منا ؟

ففغرت الفتـاة فاها دهشة وهمست : سرقنا ؟ ! ولا نعرف المسروق ؟ هذا مضحك يا أبى ! ! فتدخلت أمها فى الحديث قائلة : لقد وجدنا كل شىء فى موضعه ، ولـكن المفتش سمرز يقول ان لوبين لايمكن ان يغادر مكانا يدخله صفر اليدين فنظرت الفتـاة الى سمرز فى عجب ودهشة . فسعل هذا ، ثم قال باكتئاب : أنا واثق من ان شيئا قد فقد . وسوف تكتشفونه عاجلا أو آجلا

فهمست الفتاة : ان ارسين لوبين هذا من الأعاجيب . فلا أحد يعرف من هو ثم انه يتسلل الى منازل الغير ويغادرها كالشبح . والاعجب من هذا انه يسلب الناس اشياءهم بحيث لا يعرفون ما المسلوب

وأمسكت الفتاة بغتة ، وتلفتت حولها ، كأنما طاف بذهنها خاطر فجائى . ولـكنها مالبثت ان قالت : ولماذا القلق مادمنا لانعرف مافقد منا ؟

وعجب سمرز لتصرف الفتاة ، ولكنه قال : أصبت ! ! لكن اذا سمحت ، فانني اريد ان القى نظرة على غرفتك الخاصة ، فان لى صديقا ، ليس من رجال البوليس ، كثيرا مايعاوننى فى كشف مثل هذه الحوادث ، ويهمه دائما ان يلم بكل التفاصيل ، سوف استصحبه معى ، اذا لم يكن لديكم مانع

فقال رب الدار وهو يتطلع الى ساعته : افعل مايروقك ، ينبغى ان أبادر بالذهاب الى مكتبى ، فاذا اردت الاتصال بى فستجدنى هناك

وعندما انصرف آمبرسى ، بحث سمرز عن رقم فى دليل التليفونات . وبعد ان طلب من العاملة ايصاله بالرقم التفت الى مسز آمبرسى ، وقال : هل تسمحين لى بالانفراد مع صديق فى غرفة المكتبة لمدة نصف ساعة ؟

فوافقت ربة الدار فوراً . . ثم انصرفت من الغرفة ، تتبعها ابنتها . . ولكن شرمين توقفت عند الباب . . ثم تلفتت خلفها ، وقد ارتسمت فى عينيها نظرة لم يستطع سمرز تعليلها . . ولكنها سرعان ما تبعت أمها وغادرت الغرفة .

وغمغم سمرز : حقا انها فتاة غريبة الاطوار .

ثم تحدث الى صديقه . . وأعاد السماعة الى موضعها

« ٥ »

بعد بضع دقائق . ذهب بالمر ليفتح الباب لطارق . فألفى نفسه أمام شاب طويل القامة . ممتلىء الجسم . عريض المنكبين . أنيق الثياب . تتفجر الفتوة من جوانبه قال الشاب : أنا ديل . . وقد اتصل بى المفتش سمرز . وطلب الى الحضور فانحنى كبير الخدم لمارتن ديل ، وقاده الى غرفة المكتبة وبعد ان شد على يد سمرز . وانصرف الخادم . قال المفتش :

— لقد ارتكب أرسين لوبين حادثا جديدا .

وتراشق الرجلان النظرات هنيهة . . وكانت تبدو على وجهيهما علامات تدل على ان كلا منهما يعرف صاحبه جيدا . . وعلى ان كليهما فى تمام اليقظة ينتظر زلة أو هفوة يقع فيها الآخر ليفيد منها .

غمغم ديل : أحقا ؟ ! ان هذا اللعين يرهق نفسه بالعمل ! ! لكن تماديه فى استخفافه بالقانون لابد ان يقوده ذات يوم الى قبضتك . ويتحقق حلمك الذهبى بالقبض عليه . . على كل حال . . لندع ذلك للأيام وحدها . . والآن حدثنى بما

ارتكب . بعد أن ارغمتني على المجيء قبل أن أفرغ من تناول طعام الافطار

فصاح سمرز بلهجة ذات مغزى : طعام الأفطار ؟ ! لقد تناولته منذ ساعتين . لكن يبدو انك تحاول دائما قلب الليل نهارا والعكس بالعكس ياديل . . أراهن على انك لم تأو الى مخدعك الا في ساعات الفجر المبكرة .

— لا داعي للرهان ياسمرز لئلا تخسره

فهز سمرز كتفيه ، ومضى يحدث ديل بتفاصيل الحادث ، فلما فرغ ، قال صاحبه معقبا : لم يفقد شيء ؟ ! هذا عجيب . . أليس كذلك ؟

فقال سمرز وهو يطيل النظر الى وجهه : نعم ، اننا ، انا وأنت نعرف أن ارسين لوبين يأخذ معه من الغنائم ما يكفي لأن يدر مبلغا محترما من العشرة في المائة ، ومن المحقق انه فعل ذلك ليلة أمس ، ومع هذا فقد فتشنا المنزل كله تفتيشا دقيقا دون أن نعرف ماهو الشيء المسروق ، فكيف توضح ذلك ؟

فقطب ديل حاجبيه مفكرا ، وما لبث ان تهلل وجهه وقال :

— سمعت ان آل آمبرسي من كبار الاغنياء ، ومن المحتمل الا يعرف أمثالهم مقدار ثروتهم الحقيقية ، وأنا لا أرى حلا لهذا الغموض إلا ان لوبين استولى على شيء لم يكن آل آمبرسي يعرفون انهم يملكونه .

فهتف سمرز باستحسان : لا بأس ياديل !! لكن ثم موضوعا آخر يدعو الى العجب . . هل تعرف الآنسة آمبرسي ؟

— اظن انني قابلتها من قبل ، انها فتاة رائعة الجمال .

— بقدر ماهي لغز ، على العموم ، لقد نهضت الآنسة آمبرسي من نومها في ساعة متأخرة من هذا الصباح ، ولم تغادر غرفتها إلا بعد ان فرغنا من تفتيش المنزل ، وحاولت ان تؤكد لي انه من غير الضروري ان يزعج المرء نفسه اذا لم يكن يعرف ماهو الشيء المسروق ، ولكن فجأة ، فر لونها ، وارتسمت في عينيها نظرة تنطوي على الذعر ، بيد أن احدا غيري لم يلاحظ تلك النظرة ، فكيف تعلل ذلك ؟

واخذ ديل وارتج عليه ، كان من الواضح ان عبارة سمرز احدثت تأثيرا شديدا في نفسه ، ولكنه استطاع ان يتمالك رباطة جأشه ، وواجه المفتش ، ثم قال بهدوء تام : لعلها مريضة

— انها تبدو على أتم صحة ونشاط ، وعلى كل حال ، ان هذا التعليل غير

محد . . لا ريب ان فكرة ما تتعلق بارسين لوبين دارت بخلدها وهى تتحدث الينا ، فكان لها هذا التأثير العجيب .

فقال ديل : اقول لك الحق انى لا افهم شيئا .

فحدجه المفتش بنظرة طويلة تنطوى على الريبة والتأنيب . . وقال :

— كثيرا مايتعذر على فهمك ياديل . . فغالبا يكون تفكيرك منتظما سريعا ، ولكن فى بعض الاحايين تعمى بصيرتك ولا ترى ما هو تحت انفك ! ثق ان ادراكى الى ماخطر للفتاة لم يستغرق أكثر من ثانيتين

فتظاهر ديل بالاهتمام العظيم والقلق أيضاً . وقال : لاتطل امد هذا التوتر ياسمرز

— أوه ، من المؤكد ان ثم امرا واحدا معينا دار بخلد الفتاة فى تلك اللحظة بالذات فقال صاحبه وقد تألقت عيناه فجأة : بالطبع . . يبدو انى فهمت الحقيقة . . لا ريب انه كان بالمنزل شيء اما ان يكون ذا قيمة اثرية عظيمة او انه يهم الفتاة كل الاهمية . وان احداً غيرها لايعرف عنه شيئا .

فقال سمرز بسخرية : مرحى ! مرحى ! استمر .

— فلنفرض اذن ان هذا الشيء كان مخبأً فى مكان ما من المنزل . . اعنى فى مكان كانت تعتقد الفتاة انه مأمن . فلما سمعت بزيارة لوبين لاول وهلة لم يخطر لها فى الحال ان من المحتمل أن يكون قد سرق هذا (الشيء) . وككل انسان فكرت فى انه سرق شيئا من الاشياء الظاهرة أمامه كالجواهر أو الاوانى الفضية . فلما علمت أن شيئا منها لم يفقد طار تفكيرها فجأة الى الشيء الذى تحتفظ به . . . فامتقع وجهها فجأة كما رايت . .

— فكرة سديدة ياديل . . هذا ماظننت ايضا . . بالطبع لم تكن الفتاة واثقة من ان هذا (الشيء) قد فقد . ولكن مجرد الريبة أطار لبها لحظة . . . ولكي تستوثق من ذلك . كان عليها ان تذهب الى المكان الذى خبأت فيه (الشيء) وترى ان كان لايزال موجودا به . . ولعلها فعلت ذلك الآن . . كما يحتمل انها لم تفعل خاصة اذا كان (الشيء) مخبأً هنا فى المكتبة لاننى لم أغادرها منذ جئت . .

فغمغم ديل : لا بأس بهذا التعليل . ولكنه مجرد نظرية

فقال سمرز باصرار : ولكنها النظرية الوحيدة المقبولة . . على كل حال ، عندى فكرة . وهى انه قد يكون من العسير تحديد ثمن للشيء المفقود . لان قيمة

بعض الاشياء لاتقدر بالمـال كما تعلم   فحك ديل ذقنه بيده ! وقال :

— أصبت . لـكن من الضروري ان نعرف أين كان ذلك (الشيء) مخبأ

فضحك سمرز ضحكة جافة وأجاب : عليك اذن بسؤال الفتاة او ارسين لوبين اذ ليس ثم من يعرف هذا المكان غيرها .

— مادام لوبين ليس موجودا ليجيب عن هذا السؤال . . فلمـاذا لا تسأل الآنسة آمبرسى ؟   فهتف المفتش ضاحكا . ثم قال وهو يشـير الى وعاء من الخزف استرعى التفاته : ماأجمل هذا الوعاء ! .

فعض ديل على ناجذيه فجأة . . وبدا كأنمـا اصابته لطمـة على وجهـه . . ولـكنه هز كتفيه . ثم تقدم من الوعاء وفحصه بدقة . وقال : انه تقليد بارع لاناء فرانسوا . . ولا جدال فى ان الاصل بعيد عن المنال . هل تهمك مثل هذه الآنية ياسمرز ؟   — كلا .. ولـكنى لاحظت انك لم تن عن مراقبـة هذا الوعاء منذ دخولك   وللمرة الثانية بدا الاضطراب على وجه ديل وقال : انى كما تعلم من هواة التحف .

فأومأ سمرز براسه . . وقال ساخرا : هذا حل معقول .

وجرى باصبعه فوق الوعاء . . واستطرد : انه بحاجة الى التنظيف . . آه . . يخيل الى ان ماسرقه ارسين لوبين كان مخبأ فى هذا الوعاء .

فقال ديل بهدوء : لا اظن ذلك . . اللهم الا اذا كانت الآنسة آمبرسى لاتهتم كثيرا بالشيء الذى كانت تخفيه عن العيون .

— ربما كنت على حق . . فقط خطر لى انها ربما . . . ياللشيطان ! !

وللمرة الثانية تقلصت عضلات وجه ديل . . كان يراقب سمرز . . وهو يجرى باصابعه فوق سطح الوعاء كأنمـا سحرته دقة صنعه . . وما لبث ان بدا عليه القلق وعدم الاستقرار عندما بلغت يد المفتش الجزء الاسفل منـه حتى استقرت قرب القاعدة . وسرعان مابدرت من فم سمرز صيحة دلت على انه وقع على اكتشاف ما

هتف ديل محاولا التظاهر بالهدوء : ماذا حدث ؟

فصاح المفتش : انظر ياديل .. ان قاعدة الوعاء قابلة للانفصال اذا أديرت عدة مرات . .   ورفع الآنية وأدار قاعدتها فانفصلت ، واذا بها مجوفة ، فقال :

— لعلى كنت مخطئا فى استنتاجى ، مارأيك فى هـذا التجويف السرى ؟

وحاول ديل الكلام ، ولكن خانه النطق ، بيد ان سمرز لم يلاحظ اضطرابه لانهما كه فى تأمل التجويف السرى وبعد هنيهة قال ديل : بديع ولا ريب ، لكنه لايدل على شيء ، فليس لدينا من دليل يحملنا على الاعتقاد بأن الآنسة آمبرسي كانت تعرف بأمر هذه القاعدة وانفصالها عن جسم الوعاء

فأعاد سمرز الوعاء الى مكانه فوق المدفأة ، وقال : سنعرف ذلك فى الحال ودق الجرس . فلما أقبل بالمر طلب اليه ان يستدعى الآنسة آمبرسي

وبعد قليل جاءت الفتاة فانحنى لها مارتن ديل باحترام . ولاحظ ان وجهها كان ممتقعا . وفى عينيها نظرة تنم عن الخوف . ولكنها كانت رابطة الجأش . ثابتة الجنان

قالت وهى تنظر الى عينى سمرز : هل أردت ان تسألنى عن شيء معين ؟

فقال سمرز وهو يختلس النظر الى وجهها : بل أردت ان أطلعك على شيء . . فقد لاحظت ان القلق مستول عليك مذ عرفت بأمر السرقة يا آنسة .

وسكت فغمغمت الفتاة باعياء : وما هو هذا الشيء ؟

— من المؤكد انك كنت ستكتشفين الحقيقة بنفسك ، ولكن الفرصة لم تسنح لك بعد . . أنى أحمل أنباء سيئة اليك يا آنسة . . فقد كشفت منذ لحظة التجويف السرى فى قاعدة الوعاء الخزفى . . ولكنى وجدته خاليا

فانتفضت الفتاة . . ولكنها لم تلبث ان جمدت فى مكانها كأنما استحالت الى تمثال . ولاحظ ديل ان الفزع الشديد قد استولى عليها . . فأسرع الى جانبها ، ولمس ذراعها برفق . . وغمغم :

— لعل الموقف لم يسوء كما تظنين . . مهما يكن من أمر الشيء الذى كنت تحتفظين به فى الوعاء ، فانه فى مكان أمين لدى لوبين فأنت تعلمين انه رجل يحافظ على وعوده . ولو عرف الظروف لاعفاك من شرط التبرع لاحدى الجمعيات الخيرية . . لماذا لا . . وأمسك فجأة عن الكلام ، بعد ان أيقن ان الفتاة كانت منصرفة عن الاستماع اليه .

قالت بصوت أقرب الى الهمس : انك مخطىء ياسيدى . فليس الأمر ما ظننت انك . . انك . . . واستدارت على عقبيها فجأة . . وهرولت خارجة من الغرفة . ولبث الرجلان فى مكانهما طويلا . . وأخيرا قال سمرز :

— اؤكد لك ان الوعاء لم يسترع انتباهى ياديل إلا عندما لاحظت انك

لا ترفع عينيك عنه .   فاشعل ديل لفافة تبغ ، وقال :

— كن على حذر ياسمرز ، ولا تترك لخيالك العنان

((*))

تطلع ديل الى ساعته بضجر . كانت قد أشرفت على الخامسة . . ولكنه لم يكن ليستطيع الانتقال الى منزله السرى حيث اعتاد أن يتنكر على هيئة أرسين لوبين قبل ان يرخى الليل سدوله .

هناك كان يحتفظ بما أخذ من الوعاء الخزفى فى الليلة الماضية

كان قد عول على اعادة هذا « الشىء » الى شرمين امبرسى بغير ابطاء ،فقد ادرك من فزع الفتاة وغرابة تصرفاتها انها تقيم لهذا « الشىء » وزنا كبيرا

ومرت الدقائق ثقالا ، وما لبث خادمه بلكنز أن جاءه ببطاقة ، ما كاد يقرأها حتى قال :

— ادخل الآنسة آمبرسى الى غرفة الجلوس . وساوافيها الى هناك فى التو

وانحسر عنه القلق بغتة . وأسرع لمقابلة الفتاة ، فاستقبلته باسمة ، وقالت بغير تمهيد : لقد جئت لاسالك اعادة ما اخذت من تجويف الوعاء السرى يامستر ديل

فضحك ديل . . وغمغم ببساطة : ما الذى جعلك تعتقدين ان « الشىء » الذى تشيرين اليه فى حوزتى يا آنسة ؟

فقالت بهدوء واصرار : انى واثقة من انه فى حوزتك ، أنت ارسين لوبين

فاطال ديل النظر الى وجهها مشفقا كانما خشى ان يكون قد اصابها مس . . ثم اجاب : بودى لو كنت ارسين لوبين حقا . . ولو كنته لما ترددت فى النزول على طلبك المتواضع ، لكن من سوء الحظ انى لست ارسين لوبين . . ولذا فمن المستحيل ان اعيد اليك شيئا لم آخذه

فنظرت اليه متوسلة ، وقالت : ارجوك يامستر ديل ، بل اتوسل اليك ان تعيده الى

فقال بتأثر ظاهر : عفوا يا آنسة ، انك ولدت لتأمرى لا لتتوسلى

— إذن فانا آمرك بان تعيد ما أخذت .   — مما يؤسف له ان ذلك لن يغير من طبيعة الموقف يا آنسة ، لأننى لا اصنع المعجزات

— لنفرض اننى قلت لك ان (الشىء) الذى استوليت عليه يهمنى الى حد بعيد

فقاطعها ديل : ولكنك لم تصرحى لى بعد بماهية هذا « الشىء » ؟

فاطالت النظر الى وجهه وسألت : أحقا لا تعرفه ؟

— ومن أين لى هـــذه المعرفة ؟كل ما أعلمه ان ثمة مأساة غامضة تـكتنفه . وانك تحاولين جاهدة الاحتفاظ بسر هذه المأساة — اذن فأنت ترفض توسلاتى .

فقال ديل باصرار : ان كلمة (الرفض) لا تنطبق على الواقع يا آنسـة . . فلو انى كنت أملك ماتريدين لما توانيت فى اعادته اليـك

فتأملته مليا . . وانعكست على وجهها آى التعجب المقرون باليأس . . ثم نهضت عن مقعدها باعياء كأنما كانت ترزح تحت عبء من المتاعب وتمتمت :

— لعلى كنت مخطئة . . انى آسفة يامستر ديل !

ورافقها ديل الى الباب . . وبينما كان يعود الى المـكتبة قرر ان يعيد الشىء الذى أخـذه الى صاحبته فى أقرب فرصـة . . ولم يكن قد منعه من اعطائه لهـا غير خوفه من ان يكون لسمرز ضلع فى هـذه الزيارة . . وبذلك يفضح نفسـه . . ويضم الدليل الذى طالمـا سعى سمرز للحصول عليه فى يده

((*))

وبعد ان تناول ديل طعام العشاء فى ناديه . استقل سيارة تاكسى .. ثم غادرها بعد قليل واختلط بالمارة . . وبينما كانت سيارة تاكسى تمر بجانبه ببطء . وثب اليها . . ثم تركها بعد قليل . وقد اطمأن الى ان أحداً لا يتعقبه .

وبعد نصف ساعة كان يدخل مطعم هوشانج الصينى . . واستقبله صاحب المطعم مرحبا .

كانت بين الاثنين علاقة لا تنفصم . . فقد حـدث يوما ما ان أدى ديل لهوشانج خـدمة جليلة . . واعترافا من الصينى بهذا الجميل سمح له بأنه يتخذ من غرفة سرية فى أقصى مطعمه صومعة خاصة للتنـكر ، وملجأ وقت الشدائد .

وبعد هنيهة . كان ديل يضيىء النور فى الغرفة السرية . . ثم تقدم من أحد الاركان . . وضغط زرا خفيا . فانشق الجدار عن فجوة بها عدة رفوف . . فمد يده والتقط لفافةصغيرة . كانت تضم الشىء الذى سعت الآنسـة آمبرسى لاسترداده منه . .

عندما ذهب لسرقة خزانة مستر آمبرسى كان يرجو ان يتمكن من فتح الخزانة نفسها . . ولـكن اتضح له بعد فحصها ان ذلك من الأمور المسـتحيلة مالم يستعن بمفرقع . وهو أمر لا تؤمن مغبته فى منزل آهل بالسكان والخدم . . وتصادف ان وقع بصره على الاناء الخزفى . فشرع يتأمله لاهتمامه بالعاديات . وما لبث ان اكتشف التجويف السرى . . وما كاد يرى ما بداخله حـتى بهت . . كان شيئا عجيبا ومخبأ فى مكان أعجب . . فأثار ذلك فضوله . . فوضعه فى جيبه وغادر المنزل .

ولم يكن هذا الشىء غير قطعة من الذهب على هيئة رصاصة

***

غمغم دبل بدهشة مفرطة : رصاصة من ذهب ! !   ولم يدر كيف يمكن ان يغلف مأساة بشيء شاذ كهذا . . وراح يتأمل الرصاصة بدقة . . فأيقن انها لاتصلح إلا لمسدس صغير   وأعاد انف الرصاصة كما كانت .. وبرغم انه لم يستطع ان يصل الى أي تعليل بشأنها . إلا انه عول على اعادتها الى الآنسة آمبرسي في الحال

ونظر الى ساعته ، وتهللت أساريره ، ثم قال : بديع ، سيزور أرسين لوبين الآنسة آمبرسي . ويعيد اليها الرصاصة بنفسه

وجلس الى المرآة وشرع يبدل ملامحه ، ثم ثيابه ، ووضع فوق عينيه عوينات سوداء

وبعد ربع ساعة هبط لوبين من إحدى سيارات الاوتوبيس على مقربة من منزل مستر آمبرسي ، ومشى المسافة الباقية على قدميه . فلما اقترب من المنزل لاحظ ان نوافذ الطابق الثاني كلها معتمة ، عدا نافذة واحدة كان الضوء يسطع منها . فتكهن بأن مستر ومسز آمبرسي ربما كانا في أحد المسارح . وان ابنتهما معتكفة في غرفتها الخاصة

واكتسح الطريق بنظرة ، فتأكد من خلوه ، وعندئذ تقدم من الباب . ورفع يده ليضغط الجرس ولكنه مالبث ان أحجم . وشعر بدافع خفي يحثه على التمهل ، ذلك ان تلك كانت أول مرة يدخل فيها البيوت من أبوابها وهو متنكر ، وفي جوف الليل

وعدل عن رأيه ، ودار حول المنزل ، ورأى الضوء ينبعث من نافذتين في جناح الخدم ، وكانت بنوافذ الطابق الأرضي قضبان حديدية

وسار حتى أصبح أمام احدى الشرفات ، ثم تحفز ، ووثب في الفضاء . باسطا ذراعيه الى أعلا ، وتشبث بحافة الشرفة ، وبعد قليل كان بها

وأخرج حقيبته الثمينة وبدأ يعالج مزلاج الباب حتى فتحه ، وتسلل الى الداخل ، ووقف ساكنا هنيهة . فلما اطمأن الى هدوء المكان . أخرج مصباحه وأضاءه ، وأرسل أشعته تتخلل الغرفة ، فألفى نفسه في مخدع لعله كان مخدع مستر آمبرسي نفسه ، وتقدم من منضدة الزينة وفتح أحد أدراجها ، وعندئذ تألق شعاع من داخله بهر عينيه ، فالتقط مصدر هذا التألق . فاذا به دبوس ربطة عنق من الماس الثمين

راح يفحصه برهة ، ثم وضعه في جيبه وهو يتمتم : ان آمبرسي رجل مهمل ، وينبغي تلقينه درسا رادعا ، ثم ماهذا ؟ آه .. انهما زرارا قميص من أجمل ماوقعت عليه عيناي

ولحق الزراران بالدبوس في جيبه ، كما لحقته بعض قطع ماسية أخرى نفيسه ، ثم غادر الغرفة بحذر ، فما زالت مهمته الرئيسية رهن التنفيذ ، ومر بباب كان ينبعث من أسفله شعاع ، فأدرك انه أمام غرفة شرمين آمبرسي ، وخطر له أن يطرق الباب . ويفاجيء الفتاة بتقديم الرصاصة الذهبية اليها ، ولكنه عاد فصرف هذا الخاطر من ذهنه إذ كان يعرف سبيلا آخر للوصول الى هذه الغاية دون التعرض لكشف شخصيته

قرر أن يعيد الرصاصة الى مكانها في جوف الاناء . ثم يغادر المنزل ويتصل بشرمين تليفونيا .. وينبئها باعادته الى مكانه

وهبط الدرج وقصد الى المكتبة ، وتقدم من المدفأة .. والتقط الوعاء . وأدار قاعدته

حتى انفصلت ، ثم أخرج الرصاصة من جيبه وهو يتنهد . وهم بوضعها آسفا فى مكانها الأصلى ، وكان أسفه راجعا الى انه لن يستطيع بعد اليوم الوقوف على المأساة التى تكتنف هذه الرصاصة . بيد انه توقف ، فقد سمع صوتا خفيفا مفاجئا ، ثم غمر الضوء الغرفة

وأخذ لوبين المفاجأة ، وسقطت الرصاصة من يده وتدحرجت حتى استقرت فى منتصف الغرفة . وهى تتألق لانعكاس الضوء عليها

واستدار لوبين على عقبيه . فالفى نفسه يواجه المفتش سمرز . وفى يده مسدس مسدد الى صدره

غمغم لوبين بصوت لا يمت الى صوته بسبب : طاب .. طاب مساؤك .

وحدق فى المفتش من خلال العوينات السوداء . فصعده هذا بنظرة خاصة مدققا . ثم ساله :

— من أنت ؟ وكان أهم ما يشغل بال لوبين فى تلك اللحظة . . الرصاصة الذهبية . فلم يكن سمرز قد رآها بعد . فتحرك لوبين ببطء ، وعينا المفتش لا تفارقانه .. حتى وقف فى منتصف الغرفة . وحجب الرصاصة بقدمه اليسرى .

وطال أمد الصمت .. وتذكر لوبين الجواهر التى سرقها من درج آمبرسى . فاجهم وجهه قليلا ، وأدرك ان الموقف مزدوج الخطورة . فراح يفكر فى مخرج

وأخيرا صاح سمرز : ارفع يديك فوق رأسك ياصديقى .

فاطاع لوبين .. لم يكن فى استطاعته المقـــاومة . . على الأقل الى ان تحين له الفرصة التى يترقبها .. وقال بصوت المتألم :

— انك تخيفنى ياصاح . فان الأسلحة النارية عرضة للانطلاق فجأة .

أصغى المفتش الى كلماته بانتباه تام . فايقن هذا انه يحاول ان يتعرف على صوته .

قال سمرز وهو يلوح بمسدسه : اذا انطلقت من المسدس رصـــاصة . فلن يـكون ذلك بمحض الاتفاق . خير لك أن لا تتحرك من مكانك . او تحاول اتيان إحدى ألاعيبك الشيطانية وانى على استعداد لسماع ايضاحك

فرفع لوبين حاجبيه وهو يتصنع الدهشة وصاح : إيضاح ؟ ايضاح ماذا ؟!

— ماذا تصنع هنا ؟ وكيف دخلت المنزل .؟ ولماذا . ؟ ولا تنس انى أستطيع أن أشتم رائحة الأكاذيب على بعد ميل فقال لوبين باستخفاف :

— من حقى انا أن أوجه اليك مثل هذه الاسئلة .

فحدق سمرز فى وجهه هنيهة . ثم ضحك .. وأجاب ساخرا : حسنا . حسنا . لن أبخـل عليك بما تطلب مادمت كهلا .. من واجب الشباب ان يحترمه . . اكبر ظنى انك سمعت عن أرسين لوبين ؟ فغمغم لوبين :

— ومن الذى لم يسمع عنه ؟ شد ما يسرنى ان أهز يد هذا الشيطان ولو مرة واحـدة

— أحقا ؟! اذن اصغ إلى . ان (هذا الشيطان) اقتحم هذا المنزل ليلة أمس وسرق منه شيئا معينا — وما هو هذا (الشىء) ؟

— بودى ان أعرف ذلك . ان الآنسة آمبرسى تعرف ما فقـــد . . ولـكنها لا تريد التصريح ، ويبـدو لى من تصرفاتها ان فقدان هـــذا (الشىء) مسألة حيـاة أو موت بالنسبة اليها ، ولما كنت أعرف يقينا من هو أرسين لوبين . فقد اقترحت على الفتاة ان تذهب اليه .. وتسأله ان يعيد الشىء المفقود

فرفع لوبين حاجبيه ، وتألقت عيناه . بينما استطرد سمرز :

— وقد عملت الفتاة بالنصح .. ولـكنها أخفقت للأسف

فقال ديل معقبا بسخرية : هـــذا أمر طبيعى . . ولو كان لنظريتك نصيب من الصحة . لما فضح الرجل الذى تتحدث عنه نفسه ، وأعاد الشىء الضائع للفتاة ، ولـكنى لا أجـــد رابطة ما بين ما حدثتنى عنه والايضاح الذى وعدتنى به .

فقال سمرز برفق : يقولون ان لأرسين لوبين قلبا شفوقا لاسيما مع النساء الجميلات ، وانه لا يتوانى عن الأخذ بناصر اية امرأة تصادف ضيقا . وهذا هو السبب فى اننى هنا الآن . اذ رجوت مستر آمبرسى ان يسمح لى بالبقاء لعل ارسين لوبين يعود فاتفاهم معه .

فحملق ديل فى وجه سمرز مبهوتا .. وصاح : لعلك لا تعنى اننى ارسين لوبين ؟

فعبس وجه سمرز ، ولـكن لوبين كان مطمئنا الى انه لم يعرفه بعد . ذلك لأن الهيئـة التى هو متنـكر فيهـا . كانت جديدة على سمرز . . ولو انه كان يبـدو من أسلوبه انه يرتاب فى أمره ، ولـكنه لم يقطع الشك باليقين.

صاح المفتش بعد هنيهة : حسنا .. وماذا تتوقع مني ان أعتقد غير ذلك ؟

فضحك لوبين ضحكة رقيقة ، وقال : عجبا ! هذا رأى يبعث على الضحك !

فاردف سمرز بخشونة : يسرني ذلك .. ولكن اذا لم تكن ارسين لوبين بحق الشيطان. فمن تكون اذن ؟. وماذا تصنع هنا ؟ .

فأجاب لوبين بهدوء : انى أرى انه ليس من حقك أن تلق على مثل هذه الأسئلة . . ثم انك لم تخبرني من أنت ؟

— ألا تعرفني ؟ ! ألم ترني قط من قبل ؟ !

فقال لوبين مفكرا : أظن انى رأيتك ، ولكن ذاكرتي قلما تسعفني باسماء الاشخاص الذين أراهم .

— يجوز ! لعلك لا تذكر اننا كنا نتبادل الحديث فى هذه الغرفة بالذات أمس ؟

فنظر لوبين من ركن عينه الى أرض الغرفة . فرأى على مقربة سجادة صغيرة تصلح لأن تكون مخبأ أمينا اذا وضعت الرصاصة الذهبية تحتها .

وقطع سمرز الصمت .. فتقدم الى الامام فجأة .. ودس يده فى جيب سترته ، وأخرج منه قيدا حديديا .

وأتى ديل بحركة سريعة لا تكاد ترى من قدمه . . وضرب الرصاصة بمؤخرة حذائه . . فتدحرجت حتى استقرت على بعد أربع بوصات من السجادة . . فلعن ديل نفسه .. وتطلع الى الرصاصة بيأس .

وتتبع المفتش نظراته .. وما لبث أن فغر فاه دهشة وعجبا .. وجمد فى مكانه . . وقد كاد ينسى نفسه .

وانتهز لوبين الفرصة .. فانقض عليه بخفه النمر .. وكال له لكمة هائلة فى بطنه ، فترنح المفتش .. وسبحت الغرفة أمام عينيه وكاد يهوى الى الأرض

وفى اللحظة التالية سمع ضحكة عالية ساخرة أعقبها اغلاق باب . . فبذل مجهوداً كبيرا حتى تغلب على آلامه . وراح يحدق فى البقعة التى كانت الرصاصة ملقاة عندها . . ولكنه لم يجد لها أثرا ، وانما وقع بصره على بطاقة أرسين لوبين موضوعة فى الحيز الذى كانت تشغله الرصاصة

((•))

التقط المفتش سمرز البطاقة .. وهز رأسه فى أسى .

لقد تحققت ريبته . . واتضح له قطعا أن غريمه لم يكن غير أرسين لوبين . . ولكن ما جدوى هذه المعرفة بعد أن لاذ اللعين بالفرار ؟

وضاعف من سخطه ضياع الرصاصة الذهبية ، وقد كانت فى متناول يده

ومع أنه قضى طول يومه يبحث عن هذه الرصاصة فانه لم يدر بخلده أن تعود بعثل هذه السرعة الى منزل ويلفرد آمبرسى . . ثم انه لم يكن يصدق أن للوبين ضلعا فى المأساة التى تكتنف هذه الرصاصة .. حتى رآه يركلها بقدمه محاولا اخفاءها تحت السجادة .

وانه لكذلك غارق فى تأملاته . . وخواطره . اذا به يسمع صوتا خفيفا . . ثم فتح باب الغرفة ، ودخلت منه شرمين آمبرسى .. ونظرت اليه متسائلة ، فقلب شفته فى جزع ، وأخذ يسرد عليها الخطة التى رسمها مع أبيها .. فاومأت برأسها .. وقالت :

— كنت معتكفة فى غرفتي . . وخيل الى أنني سمعت ضوضاء صادرة من هذه الغرفة أعقبها صوت اغلاق باب بعنف ! !

ولم يجب سمرز ، وانما قدم لها بطاقة أرسين لوبين ، فما كادت تراها حتى انعكس القلق الممزوج بالحيرة على وجهها . وسألت غير مصدقة : أعاد ارسين لوبين الليلة الى هنا ؟

فاوما سمرز برأسه ، وحدثها بما وقع باقتضاب ، ولكنه حرص على ألا يفضى اليها بنبأ الرصاصة الذهبية . وأخيرا سالته : وما الذى تراه فى الباعث له على هذه العودة بعد أن ظفر أمس بما كان يبغى الحصول عليه ؟

فسألها سمرز بحدة : وماذا كان ذلك الشيء ؟

ففر لون الفتاة . . ولم ينقذها من هذا الموقف الدقيق غير رنين جرس التليفون ، فهرولت الى المكتب ، والتقطت السماعة .. وما كادت تسمع صوت المتكلم حتى انتفضت . . وأصغت باهتمام .. وما لبثت حدقتاها أن اتسعتا فى دهشة وذهول .

وعندما وضعت السماعة ، كانت علامات الدهشة والارتياح مرتسمة على وجهها المتقع

وقالت لسمرز : انه ارسين لوبين . . فى استطاعتك أن تكف عن تحقيق الحادث يامستر سمرز ، فقد وعدنى لوبين بأن يعيد إلى الشيء المفقود غداً صباحا ، وقد اتصل بى ليطمئنى ، وقال انه حاول اعادته الليلة ، لكن صعوبات غير متوقعة لم تمكنه من ذلك .

فضحك سمرز ضحكة قصيرة جوفاء ، ثم هز كتفيه . وقال :

— لا بأس يا آنسة . . فما دام أرسين لوبين قد وعدك باعادة ما أخذ . فلم يعد هناك ما يحملنى على التدخل . لأن لوبين رجل يقدس الوعد . طاب مساؤك .

ومشى الى الباب لينصرف . . ولكنه مالبث ان توقف . وقال لها :

— وعلى فكرة يا آنسة .. انى شديد العجب من أمر الشيء الذى أخذه أرسين لوبين وانى لاتساءل .. اليس هو رصاصة ذهبية؟

ففر لون الفتاة للمرة الثانية . . وانتفضت بوضوح . . فأيقن سمرز انه أصاب الهدف . واستطرد على عجل : هاأنت ترين اننى أصبت التقدير . . صحيح اننى لم أصل الى مركز المعضلة بعد . ولكن شيئا واحداً قد وضح لى تماما . . لقد سرق أرسين لوبين الرصاصة الذهبية ليلة أمس . . وبعد أن عرف شدة تلهفك على استعادتها ، حاول ان يعيدها اليك الليلة وأكبر الظن انها سقطت من يده عند ما باغته . . بيد انه لطمنى ، ولاذ بالفرار بعد ان التقطها . . كم كنت أود لو أتيحت لى فرصة فحص الرصاصة . ولكنى واثق من انها المنشودة على كل حال ، فان الرصاص الذهبى معدوم . . أو على الأقل لم أر فى حياتى غير اثنتين فقط .

وكف عن الكلام فجأة . . فقد أخذت الفتاة تتراجع الى الوراء ، والذعر مجسم فوق وجهها حتى التصقت بالمكتب . . فاقترب سمرز منها وسألها : هل قال أرسين لوبين انه سيعيد الرصاصة اليك ؟ لعلك ستقابلينه صباح الغد فى مكان معين ؟

فهزت الفتاة كتفيها ولم تجب . وعندئذ تقدم منها حتى كاد يلتصق بها . وصاح :

— ألا تريدين الاعتراف ؟ أعتقد انه من العبث معرفة الطريقة التى وصلت بها الرصاصة اليك فى بادىء الأمر ؟

فقالت الفتاة فى عناد واصرار : نعم . . من العبث ان تسألنى . ستعود الرصاصة صباح الغد

وبذلك ينتهى كل شيء . . ولا أرى بعد ذلك اننا فى حاجة الى خدماتك !

فانفجر سمرز ضاحكا . . وقال : هذا ايحاء لى بالانصراف . . وسأنصرف يا آنسة .
وعلى كل حال ، ليست الرصاصة هى الدليل الوحيد . . فخلف المقعد الذى كان يجلس عليه
برايسون فى تلك الليلة يوجد . .

وأمسك ، كأنما رأى من الحكمة ألا يفضى بكل مايعلم . ثم استدار على عقبيه وغادر الغرفة

((*))

ظلت شرمين جامدة فى مكانها تصغى الى وقع أقدام سمرز وهى تتلاشى رويدا رويدا . .
وعيناها تحدقان فى الفضاء .

وغمغمت بخفوت : ليست الدليل الوحيد ! ! خلف مقعد برايسون . ! ترى ماذا يعنى ؟ !
اننى لا عجب اذا . .

وارتسم على وجهها الذعر والقلق . وراحت تذرع الغرفة جيئة وذهابا وقد شردت
خواطرها .. وانتابها الانفعال .. وأخيرا قر رأيها على ان تصنع شيئا يخفف من حدة توتر
الموقف الذى وضعها فيه سمرز . . فتطلعت الى ساعتها . ولم تكن قد جاوزت العاشرة الا
بدقائق .. وعندئذ اطمأنت الى ان أبويها لن يعودا قبل مضى ساعة على الاقل . ففكرت
فى الخروج الى الهواء الطلق لعلها تتغلب على الازمة . . وتهدأ أعصابها .

وهرولت الى غرفتها . فارتدت قبعتها ، ومعطفا خفيفا .. ثم تسللت من المنزل .. وراحت
تضرب فى الطرقات على غير هدى . . وأخيرا قادتها قدماها الى شارع ضيق مظلم . وعندئذ
خطر لها خاطر . فمشت الى منزل عند نهاية الشارع . وأخرجت من حقيبتها مفتاحا .. فتحت
به باب الدار . . ولكنها لم تدخل من فورها . وانما القت نظرة شاملة على الطريق ، ومع
ذلك فانها لم تر الشبح الذى اندفع فجأة داخلا من أحد الابواب المواجهة .

وصعدت شرمين درج المنزل . . وفتحت بابا .. وتسللت الى الردهة . . وكان هواؤها
راكدا يدل على انها ظلت مغلقة فترة طويلة من الزمن

وتحسست الفتاة طريقها فى الظلام . حتى بلغت بابا نفذت منه . وأغلقته على عجل .. وكان
الظلام شديد الحلكة فأدركت ان النوافذ محكمة الاغلاق .. ولا خطر عليها اذا أضاءت النور
وأدارت بصرها حولها . . وأخذت تتأمل المقاعد ذات الأغطية الخضراء الباهتة . ثم
تحولت الى الصور المعلقة فوق الجدران . . وأرفف الكتب المحملة بالسجلات والمؤلفات .

واستقرت عيناها على مقعد موضوع على قيد أقدام قلائل من الجدار ومواجه لباب الغرفة
وغمغمت فى فزع : خلف مقعد برايسون .

ثم جرت نفسها جرا ، وأطلت خلف المقعد . فلم تر غير المدفأة .. وبها بعض الوقود . .
فجرت بيدها فوق الرف الذى يعلوها ونظرت الى ما علق بيدها من (الهباب) محيرة ثم
هبطت فوق ركبتيها ، وفحصت المدفأة بعناية ودقة . ولكنها لم تجد شيئا غير طبقة سميكة
من الغبار تساءلت : ترى ماذا كان يقصد سمرز ؟

كانت تدرك تمام الادراك ان المفتش قد أزال كل ما كان موجودا فى الغرفة من الأدلة . .

ولكنها حاولت ان تتصور هذه الأدلة ، وشعرت بدافع خفي يحملها على المجيء الى المنزل لتلقي عليه نظرة لعلها تعثر . . أو تفطن الى شيء من تلك الأدلة التي لمح لها عنها المفتش

ولكنها ما لبثت ان أيقنت انها كانت واهمة في تقديرها ، ولم يعد هناك مبرر لبقائها في الدار .. وتأهبت للانصراف وعندئذ تمثلت المأساة المروعة التي وقعت أمام عينيها . . فمنذ ثمان وأربعين ساعة كانت تقف في هذه البقعة ، وقد استولى عليها رعب عظيم وهي تحدق في جثة الرجل المقتول ، ملقاة فوق المقعد .. وعيناه مفتوحتان . . وخيوط مسندي المقعد ممزقة ، وملتفة حول أحد أصابع القتيل ، وبقعة الدم القانية .. والرصاصة الذهبية التي عثرت عليها على قيد بضعة أقدام من المقعد ، وفي المسافة الضيقة التي تفصل بين طرف السجادة والباب .

وانتفضت شرمين .. وحاولت ان تنسى هذه الذكريات ، وتعيد فحص المدفأة . فاخذت تجري بيدها على اطارها الخشبي في دقة وعناية وهي تردد بصوت مسموع : (خلف مقعد برايسون)

وخالجها احساس قوى بان شخصا آخر موجود في الغرفة . فتلفتت حولها بقلق ، ولكنها لم تجد شيئا غير عادي ، وعندما حولت اهتمامها الى المدفأة مرة أخرى . رأت شيئا كاد يذهب بلبها . رأت فرجة في الجدار لصق أحد ضلعي إطار المدفأة .. ومن خلال هذه الفرجة كانت عينان تحدقان في وجهها .

وأخذت الفرجة تتسع شيئا فشيئا . ثم نفذ منها رجل ضئيل الجرم أشيب الشعر . على شفتيه ابتسامة خفيفة قال الرجل برزانة :

— انك في مكان خطر . خطر جدا . يجب الا يراك أحد هنا . نخير لك أن تأتي معي .

ولمس ذراعها برفق ، وأطفأ النور . فاضطرت الفتاة ان تتبعه الى الفجوة التي ما لبثت ان غلقت عقب دخولها والفت الفتاة نفسها في غرفة تشبه تلك التي غادرتها . . تنفست الصعداء . بعد أن اختفى المقعد الأخضر عن ناظريها .

وقال رفيقها : لماذا تنتفضين ؟ اجلسي هنا ريثما آتيك بقدح من الشاي

وجذب مقعدا وأجلسها فوقه برفق . ثم غادر الغرفة . فحولت شرمين بصرها نحو الجهة التي جاءا منها . فلم تر غير مدفأة مماثلة لتلك التي في الغرفة الأخرى . فادركت ان بجانبها فجوة أخرى سرية تتصل بالأولى ، وبينهما ممر ضيق .

وتساءلت : ترى هل كان هذا الممر هو الادلة التي عناها سمرز في حديثه ؟

ولكنها لم تجد فرصة للتفكير . اذ عاد الرجل المجهول . . وقدم لها قدح الشاي . فما كادت تحسو منه بضع حسوات حتى بدأت أفكارها تنتظم ، وعاودها الهدوء والاطمئنان .

وتمهل الرجل حتى وثق من اطمئنان الفتاة اليه وقال : لاريب انني أفزعتك . كان ينبغي ألا ابرز بغتة من الفجوة ، ولكني لم اتوقع ان يكون الشخص الذي يتجول في الغرفة المجاورة سيدة فاومأت شرمين برأسها ، ومع انها عجبت لوجود هذا الكهل في المنزل الا انها كانت واثقة الاصلة بينه وبين المأساة التي تحتل الرصاصة الذهبية المكان الأول فيها .

قال الرجل : اعتقد انك كنت تبحثين عن شيء ؟

فتجاهلت شرمين سؤاله . وانصرفت الى احتساء الشاي في صمت . فقال الرجل :

— ثق انى عندما أبصرتك لم تخطر لى فكرة التجسس عليك ببال . كل ما هنالك ان من واجب المرء فى مثل هذا العهد الممتلىء بالشرور أن يكون على حذر . وقد خيل إلى وأنا أرقبك من الفجوة انك كنت تبحثين عن شيء بين المدفأة والمقعد . ولكنى لم أعرف بالطبع ما هو أكبر الظن انه شيء يتصل بما حدث هنا منذ ليلتين ، نعم . لا بد انه كذلك

ولم تجد شرمين مفراً من الاجابة . فقالت مراوغة : انك مخطىء ياسيدى . . لم أكن أبحث عن شيء قط . فنظر اليها الرجل وكأنه لم يسمعها . . وقال برقة كما لو كان يخاطب نفسه : على كل حال . . مما يدعو الى الغرابة انك كنت واقفة فى تلك البقعة بالذات .. أعنى بين المدفأة والمقعد . فصاحت الفتاة : ماذا . . ماذا تعنى ؟

فانعم الكهل النظر الى وجهها . . وقال : خطر لى وأنا أراقبك ، أن وجودك فى هذه البقعة راجع الى وقوفك على سر المدفأة . . وهو أن بها فجوة سرية تفتح وتغلق بآلة خاصة .

فقالت شرمين بلهجة توكيدية : كلا .. وفوق ذلك إنى أخذت حينما رأيت الفجوة .

فرفع الرجل حاجبيه قليلا . . وأردف : لقد لاحظت دهشتك ، ولكنى ظننت انها ناجمة عن ظهورى الفجائى ، لكن يبدو انى كنت واهما . (وضحك) حسنا .. مادمت لا تعرفين شيئا عن المدفأة ، ولم تكونى تبحثين عن شيء معين . فانى أعتقد أن وجودك هنا كان بمحض الصدفة . فقالت مؤمنة : نعم .. ولو أن الأمر قد يبدو غريبا !

— بالتأكيد ! وبهذه المناسبة . أظن ان خادمك بالخارج ؟

— خادمى ؟ كلا .. كلا .. لقد جئت بمفردى .

فهز رأسه ببطء .. وهتف : بمفردك ؟ وفى مثل هذه الساعة . . حقا إن تصرفات أبناء هذا الجيل لتدعو الى العجب ، لكن لا ريب انك انبأت أبويك بقدومك الى هنا .

— وكيف أستطيع ذلك ؟ أقول لك الحق ، انى حين غادرت منزلى لم أكن أفكر فى الحضور الى هنا . ثم اعتدلت وصاحت : لماذا تنظر الى هكذا . . و . .

ولم تستطع اتمام عبارتها . . وبدأت قواها تتبخر . . ودارت الغرفة بها . . ثم راحت فى سبات عميق .

((•))

نظر سمرز عبر المائدة الى صديقه مارتن ديل وقال : يبدو انك اليوم أسعد منك فى أى وقت مضى . فقال ديل كاذبا : كلا .. انى لست كذلك .

كان يتساءل عن سبب عدم حضور شرمين آمبرسى فى الموعد . . بعد أن انتظرها والرصاصة الذهبية فى جيبه فى المكان الذى حدده لها فى الليلة السابقة . ولما لم تحضر اتصل بمنزلها ، فعلم انها ليست موجودة به . وظل سمرز يتأمل ديل فترة طويلة . ثم قال ساخرا : لو اختار الرجال زوجاتهم بمثل العناية التى تنتقى بها ثيابك ، لأغلقت محاكم الطلاق أبوابها . فبدا الضجر على ديل ، وقال : إن مقارناتك الشاذة تضايقنى يا سمرز ، ألا تعلم أن الزواج أمر مقرر ولا بد منه ؟

— آه ! هذا يذكرنى بشيء سمعته من قبل ، فقد قيل ان أرسين لوبين أحب مرة فتاة

حبا جنونيا ، فلما زجوا به فى السجن — ظلما وعدوانا كما يدعى — تنكرت له . . فلما غادر السجن راح يتحاشى التورط فى حب جديد .

فقطب ديل حاجبيه . وغمغم : يالها من قصة طريفة ، ربما كان هذا سر سخط لوبين على البوليس ، لكن يبدو انك ضيق الصدر اليوم ياسمرز ، فهل حدث شيء ؟

فاجاب المفتش بجفاء : بل أشياء ، لقد اصطدمت بارسين لوبين أمس

— أحقا ؟ ! لا بد أن هذا الشيطان قد سخر منك كدأبه أبداً .

— انى عثرت عليه فى منزل آل آمبرسى ، وكان متنكرا بهيئة جديدة . . ولكنه كان على كل حال فى مثل قامتك .

فابتسم ديل ، وقال : أحقا ؟ لكن ماذا كان يصنع هناك ؟

— ذهب ليعيد الرصاصة الذهبية التى أخذها منذ يومين من الوعاء الخزفى

فتظاهر ديل بالدهشة الشديدة وصاح : رصاصة ذهبية ؟ لا أحسبك تريدأن تقول انالشيء الذى سرقه لوبين من منزل مستر آمبرسى كان رصاصة ذهبية ؟

— بل هذا ما أعنيه . . عندما علم لوبين ان الآنسة شرمين تتهافعلى استعادة الرصاصة . بسلل الى المنزل وحاول ان يعيدها الى جوف الوعاء الخزفى ، فلما اصطدمت به ، تخلص منى بلطمة ، ولاذ بالفرار ، ومعه الرصاصة ، وقد حاول الاتصال بالفتاة صباح اليوم ولكن خطته فشلت . حدق ديل فى وجه سمرز ، وعجب كيف استطاع المفتش أن يعرف بفشل خطته ، ثم سأل : لكن ماشأن الرصاصة الذهبية ؟ وما معناها ؟ ثم لماذا تتلهف الآنسة شرمين على استعادتها ؟

فقال سمرز فى ضجر : انها قصة طويلة ياديل ، لاريب انك سمعت عن حادث مقتل برايسون ؟

— فقط قرأت العناوين فى الصحف ، فانت تعلم انى قلما أطالع المقالات المطولة

— مارأيك فى ان نقوم بجولة على الأقدام بعد مغادرتنا المطعم ؟ ساطلعك على شيء سيثير اهتمامك فدعا ديل الخادم . ونقده ثمن الطعام ، ثم غادر والمفتش المطعم

وفى الطريق أخذ سمرز يبحث فى جيوبه . . ثم قال : أرجو ان أكون محتفظا بالمفتاح . . فقد أخذته معى عند أولى زياراتى للمنزل . . أعنى أول أمس . . عقب مصرع تيودور برايسون . . آه ! هاهو وصعدا درجا عتيقا . ودخلا منزلا . . وأغلق سمرز الباب خلفهما . . ثم سارا فى ردهة صغيرة . . ونفذا الى غرفة فى مؤخرة المنزل . . فاجال ديل بصره بين اثاثها العتيق . . بينما كان سمرز يرقبه باهتمام

وأشار المفتش الى المقعد المواجه للباب . . ثم قال : كان برايسون يجلس فوق هذا المقعد وهو فى وضعه الحالى تماما ،عندما أطلق عليه الرصاص . وأنت تلاحظ ان الجالس عليه ، يواجه الباب ، (وضحك) . ان أغرب ظروف الحادث لم ينشر فى الصحف بعد ، لأننى أحرص على ان أدع القاتل يتخبط فى الظلام . حتى لايفلت من قبضتى

فاوما ديل برأسه . . ثم سال : وما شأن الرصاصة الذهبية ؟

فرك سمرز ذقنه بيده . . وأجاب : كان تيودور برايسون رجلا غريب الأطوار . . كان

ثريا ذات يوم . ولكنه فقد معظم ثروته فى المضاربات . وظل يعانى الفقر عدة سنوات . فلم يكن مانبقى له من ثروته يكفيه مئونة الحاجة ، ولما أيقن ان الموت جوعا بات يهدده ، اقسم ان يموت قبل ان ينفق آخر درهم لديه . .

— أكان يعتزم الانتحار ؟ — نعم . . واليك أغرب قسم فى القضية . . يبدو ان برايسون كان مولعا بالرحلات فى شبابه . . وكان يستغل هذه الرحلات فى أعماله التجارية . فنمت ثروته ، وتكدس لديه المال ، وقد احتفظ بسبيكة ذهبية صغيرة كتذكار لتلك الأيام السعيدة ، ورفض باصرار أن يبيعها ليقتات من ثمنها . . وكان يضعها تحت الحشية اذا أوى الى مخدعه . فلما دهمته الفاقة صنع منها رصاصتين

فصاح ديل مشدوها : رصاصتين ؟ !

— نعم . . رصاصتين من ذهب . . أنا لا أعلم من الذى صنعهما له ، ربما كان أحد اصدقائه الخبيرين فى مثل هذه الأمور ، على العموم ، كان ذلك منذ عام تقريبا ، وحبس برايسون الخبر عن الجميع . فيما عدا اثنين أو ثلاثة من خاصته فقط ، ولكنهم لم ينظروا الى الأمر نظرة جدية ، وقد قال برايسون لهؤلاء ، انه قبل ان ينفق آخر بنس ، سيحشو مسدسه بالرصاصتين الذهبيتين . ويطلق إحداهما على نفسه . .

فقال ديل : وهى ولا شك تكفى للقضاء عليه

— نعم . . ولكن المتشائمين من الحياة . . يلجأون دائما الى اتخاذ الحيطة عندما يعمدون الى التخلص من حياتهم . . كان برايسون يخشى ان تطيش أول رصاصة . فصنع اثنتين على سبيل الاحتياط . . ويبدو انه كان مصرا على رأيه هذا . . برغم اعتقاد اصدقائه انه كان يهزل . . صفوة القول . . ان ما أعرفه بالتأكيد ، هو ان برايسون وجد مقتولا فى مقعده صباح أول أمس . وقد اخترقت رصاصة عنقه وحلقه . فمزقت الأوعية الداخلية وقتلته

فسأل ديل وهو يتأمل المقعد المشئوم : أكان الحادث انتحارا ؟

فاجاب سمرز مفكرا : لقد نفذت الرصاصة من جانب العنق وخرجت من مقدمه على مقربة من القصبة الهوائية . . فيحتمل أن يكون برايسون قد سدد المسدس فى هذا الاتجاه . . ولو أن ذلك غير جائز . . اذ لو كان ممسكا بالمسدس فى يده . لسدده فى اتجاه آخر . . لكن ليس هذا كل مايحملنى على الاعتقاد بان برايسون لم ينتحر !

— إذن فان لديك أدلة اخرى ؟

— نعم . . فقد عثرت على مسدس برايسون ملقى فوق الارض . وفيه رصاصة ذهبية . . ومقذوف فارغ . . ومن الميسور أن يدرك المرء ان الطلق الذى قتل برايسون خرج من المقذوف الفارغ . . ولكنى لم أعثر على هذا الطلق .

فنظر اليه ديل بدهشة . واستطرد المفتش : عندما تبينت ان الطلق نفذ من عنق برايسون خطر ببالى أنه يجب ان يكون موجودا فى الغرفة . فبحثت عنه بدقة . ولكنى لم أعثر له على أثر . . كان من الواضح أن الاتجاه الذى أخذه لا يمكن أن يحمل على الظن بانه نفذ من الباب أو النوافذ . . فلا ريب اذن ان شخصا معينا عنى بازالة الطلق . .

فقال ديل بعد لحظة من التفكير : اذن فمن رأيك ان القاتل أزال الرصاصة الذهبية الثانية لكن ألا تعتقد انه من الحماقة ان يقدم قاتل على شيء من هذا القبيل ؟

— نعم . . ولكن القتلة معرضون للاقدام على مثل هذه الحماقة فى بعض الاحايين . . ولو بقيت الرصاصة فى الغرفة . . لتبادر الى الذهن ان برايسون نفذ وعده ، وانتحر . . ولبقى القاتل حرا طليقا الى ماشاء الله . . على كل حال أنا واثق من ان القاتل هو الشخص الذى أخذ الرصاصة . . فاما انه كان منذعرا ولم يدرك ماذا يفعل ، او ان باعثا قويا . ماذال خافيا علينا ، هو الذى حمله على ذلك . . ومن المحتمل أن تستطيع الآنسة آمبرسى ايضاح هذه النقطة . . على العموم . . من الأمور الهامة ان نعرف كيف وصلت اليها الرصاصة ؟

— لماذا لا تسألها ؟ .

— فكرة لا بأس بها ! . لكن هناك اعتراضا وحيدا . . وهو ان الآنسة آمبرسى تعرف كيف تلوذ بالصمت المطبق عندما تريد . . لقد حاولت ان استوضحها هذه المسألة ليلة أمس . . ولكنى عدلت عن رأيى فى الوقت الملائم . . فقلت لها ان الرصاصة لم تكن الدليل الوحيد . . ثم لمحت الى انه من المحتمل أن يوجد دليل آخر بين المقعد والمدفأة . . وتركتها دون ايضاح آخر . . والحقيقة انى كنت أتحسس طريقى فى الظلام . . فاننى أعتقد ان الرصاصة الذهبية هى الدليل الوحيد . .

— ولكنك تحدثت عن المسافة بين المقعد و . . .

فقال سمرز : كانت رمية من غير رام .. أردت ان أزعج الفتاة . . لأننى لم أجد ماأصنعه غير ذلك . . واتفق ان كان فيما قلته ظل من الحقيقة . . لأن موضع الاصابة واتجاه الرصاصة جعلنى أقرر ان القاتل كان يقف بين المقعد والمدفأة عند ما أطلق الرصاص . . بالطبع . هذا مجرد استنتاج لأن القاتل لم يترك أى أثر خلفه . . ومن هذا ترى انى أردت جس النبض .

— انى لا أفهم مرماك ياسمرز !

— ماذا أصابك اليوم ياديل . لما كانت الرصاصة فى حوزة الآنسة آمبرسى . فقد خطر ببالى ان ثمة صلة بينها وبين مصرع برايسون . . ولادرا كى أنه من العبث القاء أية أسئلة عليها . . فقد حاولت ان أوقع بها . وتصورت ، فيما لوصحت ظنونى ، ان تسرع الفتاة بالذهاب الى منزل برايسون . وتبحث فى المسافه التى بين المقعد والمدفأة . . وقد صح ماتوقعت . . ورأيتها وأنا مختبىء فى ظل أحد الأبواب وهى تغادر منزلها .

— ألم يخطر ببالك ان هذه الصلة قد تكون بريئة ؟

— أوه ! ان الدفاع ليس من شئونى . . انما الحقائق هى التى تهمنى . . او انك رأيت وجه الآنسة آمبرسى عند ما فاجأتها باكذوبة الدليل الآخر . . لادركت ان لها ضلعا فى المأساة . . وقد تبعتها عند ماغادرت منزلها . . وكنت أرجو ان تمهد لى أعمالها فى منزل برايسون سبيل الوقوف على الصلة التى تربطها بمأساة القتيل . . ولما تبعتها الى الداخل . . وجئت بما كاد يذهب بلبى . . انى واثق من ان الفتاة لم تسمعنى ، فقد حرصت على ألا يبدو منى أى صوت ينم على وجودى . . ولكنى لم أجد لها أثرا فى المنزل .

فصاح ديل مشدوها : تعنى انها اختفت ؟ !

— بل تبخرت . . لقد فتشت المنزل ركنا ركنا دون ان أقع لها على أثر . . ومن المستحيل انها خرجت من الباب الخلفى . لأنى وجدته مغلقا بالمزلاج من الداخل

كان اضطراب سمرز واضحا . . فلم يتمالك ديل من الابتسام . وسأل :

— هل دخلت المنزل فى أثرها مباشرة ؟

— كلا . . كنت أعتزم مفاجاتها . فانتظرت بالخارج حوالى خمس دقائق وأنا أرقب الباب الذى دخلت منه ، فما رأيك فى ذلك ياديل ؟

لاحظ هذا ان عينى سمرز تكادان تخترقان جمجمته لتقرأ أفكاره وخواطره . . فهز رأسه سلبا . وسكت

واستطرد سمرز : من المحتمل أنها عرفت انى أتعقبها . فانتهزت احدى الفرص ، وتسللت من المنزل أثناء بحثى عنها .

ففكر ديل هنيهة . . وقال : اذن أين ذهبت بعد ذلك ؟

فاومأ سمرز برأسه . . وأجاب : يحتمل ان يكون الجواب عند أرسين لوبين . فقد لعب دوراً عجيبا فى هذه المأساة ، لست أرى ما الذى . . ماذا دهاك ياديل ؟

ذلك ان ديل جمد فى مكانه ، فقد سمعت أذناه المرهفتان صوتا خافتا جدا . بيد انه مالبث ان استعاد هدوءه . وقال ببطء :

— كنت أفكر . لو سالتنى رأيى لقلت لك ان لوبين قد يكون مثلك حائراً فى صدد اختفاء الفتاة ، هلم بنا الآن. اننا فى حاجة الى تنشيط أقدامنا واستنشاق الهواء الطلق

« * »

وفى ساعة متأخرة من الليل . تسلل أرسين لوبين من مطعم هوشانج الصينى وهو متنكر فى الهيئة التى رآه عليها سمرز فى الليلة الماضية . وكان المطر ينهمر . والجو عاصفا ، فانطلق يقطع الطرقات غير المطروقة حتى بلغ منزل تيودور برايسون ، فاخذ يتسكع حوله حتى يقفر الطريق من المارة ، ثم اندفع صوب الباب ، وعالجه حتى فتحه وبعد لحظات كان واقفا فى الغرفة التى وقعت فيها المأساة .

وأغلق باب الغرفة بالمفتاح ، ثم أضاء مصباحه . وتقدم من المدفأة ، وانكب عليها يفحص إطارها بعناية ، فقد خيل اليه ان هناك صلة بين المدفأة واختفاء شرمين العجيب .

وسدد أشعة المصباح الى الأرض ، لاريب انها كانت تقف هنا وهى تبحث عن الدليل الوهمى الذى اثاره سمرز من عندياته .

وفجأة وثبت الى ذهنه فكرة ، الا يحتمل ان تكون الفتاة قد عثرت على الدليل الذى حسبه سمرز وهميا ؟ انها فكرة بعيدة الاحتمال . اذ لو كان هناك دليل لعثر عليه سمرز منذ البداية ، ومع ذلك فقد ظلت الفكرة مختمرة فى رأس لوبين

وتذكر الصوت الخافت الذى سمعه أثناء حديثه مع المفتش ، صوتا يكاد يشبه صرخة استغاثة مكتومة ، وقد خيل اليه انه صوت شرمين ، وأعجب من ذلك كله . ان الصوت كان

يبدو وكأنه صدر من المدفأة .

ولما أعياه فحص المدفأة ، خطر له خاطر شاذ ، فقد خيل اليه انه لو استطاع اختراق الجدار لوصل الى المنزل المجاور . ومع ان الفكرة كانت عقيمة الا انها كانت مسيطرة عليه ، فاذا فرض جدلا ان الصرخة كانت حقيقة لا وهما ، فلا ريب اذن انها صدرت من المنزل المجاور

وفى التو . غادر المنزل على عجل ومضى الى باب المنزل المجاور ، وفتحه باحدى أدواته ثم تركه دون ان يغلقه تأهبا للطوارىء ، وارتقى الدرج . فلما بلغ الردهة . استعان بتقدير الاتجاه على تحديد موقع الغرفة المجاورة لتلك التى قتل فيها برايسون .

وأضاء مصباحه ، وما كاد يرى أثاث الغرفة المشابه تماما لأثاث غرفة برايسون حتى فغر فاه دهشة ، وعندئذ أيقن ان الصرخة قد صدرت من هذه الغرفة . أو من غرفة ملاصقة لها

وفجأة . خفض أشعة المصباح ، وتحول ببطء نحو الباب

وفى نفس اللحظة غمر الضوء الغرفة ، ورأى لوبين رجلا ضئيل الجرم أبيض الشعر . مقوس الأنف ينظر اليه بفزع .

ولمح لوبين نظرة غدر سريعة ترتسم فى عينى الكهل .. ولكنه قال له برفق :

— لقد أقلقت راحتى ، ومن المحتمل الا اهنأ بسنة من النوم بعد ذلك .

فقال ديل بصوت يخالف صوته الطبيعى : انى شديد الأسف

وتأمل رب الدار لوبين بامعان . ثم أردف : انك لا تبدو لصا ، وبفرض اننى لم أفاجئك فقد كنت ستغادر منزلى صفر اليدين . اننى رجل فقير ، ولا يوجد فى منزلى ما يستحق السرقة . اذا أردت طعاما فعلى الرحب والسعة . نعم . سأعد لك بعض الطعام . ولك ان تحدثنى بعد ذلك كيف انحدرت الى هذا الطريق الشائك

— شكرا لك .. لست جائعا .   — إذن لا أقل من قدح من الشاى

وأصر الكهل على رأيه ، فوافق لوبين ، وجلس على أحد المقاعد بينما انصرف مضيفه يعد الشاى .   وابتسم لوبين ابتسامة ساخرة وغمغم : ياللأحمق ! يخيل الى أنه سيحاول وضع السم أو المخدر فى قدح الشاى

ورأى وعاء نحاسيا ثقيلا فوق منضدة عتيقة فى ركن الغرفة ، فنهض اليه بهدوء وجاء به ووضعه فى متناول يده تحت المقعد .

وعندما عاد مضيفه بالشاى قال له : عندما يحبونى رجل بعطفه فانى أصر على معرفة اسمه

فقال رب الدار وهو يقدم له قدح الشاى : اسمى توماس وايتفورد

وبدأ وايتفورد يحتسى الشاى ، وتظاهر لوبين بذلك .

قال وايتفورد : هل تعلم ياصديقى انك أثرت اهتمامى ، هل أنت مهتم بزخارف المنزل ؟

— ولماذا تسأل ؟

— لقد راقبتك لفترة قصيرة قبل ان أضىء النور ، وخيل إلى انك كنت شديد الاهتمام بالمدفأة . والرف الذى يعلوها ، فقد كنت تفحصها بعناية شديدة على ضوء مصباحك

فرمقه لوبين بنظرة سريعة ، ولكن وجه وايتفورد كان هادئا كل الهدوء

وأجابه لوبين : ان المدافىء تسترعى اهتمامى دائما . . وقد أعجبت فعلا بمدفأتك . آه !

إنى اهنئك على مقدرتك فى اعداد الشاى

فاطال الكهل النظر الى وجه محدثه وقال : انك تتكلم كرجل مثقف . . ولا ريب انك تمتعت بايام سعيدة . لكن حدثنى ياصديقى . ألم تكن تبحث عن شىء معين عندما كنت تقف أمام المدفأة ؟ فضحك لوبين . . وأجاب : ربما . . ماذا تقول اذا قلت لك انني كنت أبحث عن رصاصة . . رصاصة ذهبية ؟

فارتعدت يد وايتفورد قليلا . . وتألقت عيناه . . ولكنه سرعان ماسيطر على أعصابه . وأجاب : هذا عجيب حقا . . هل كنت تتوقع الحصول على مثل هذا الشىء الغريب فى مدفأتى ؟ وبينما كان وايتفورد ينظر الى المدفأة . . صب لوبين قدح الشاى فى الوعاء الذى خبأه تحت المقعد . وأجاب :

— كلا . . لم أكن على ثقة من الأمر نطق لوبين بهذه العبارة بصوت أجش ممثلا حالة رجل راح النعاس يراود عينيه . . واستطرد :

— ان الرصاص الذهبى نادر فى هذه الأيام . . فهل اتفق ان رأيت واحدة فى الفترة الأخيرة ؟ فقال وايتفورد . وقد لاحظ بارتياح ان محدثه قد بدأ يستسلم للنعاس :

— انى لأعجب لماذا تلقى على هذا السؤال ؟ لكن أظن انه توجد رصاصتان فيما أعلم فأومأ لوبين برأسه مؤمنا . . كان يرمى الى اخراج وايتفورد عن هدوئه . وقد نجح فى ذلك . ولكن الى فترة ضئيلة . . كان يعلم ان احدى الرصاصتين مع سمرز . والأخرى معه . فكيف عرف وايتفورد بامرهما ؟

وبدأ رأس لوبين يسقط فوق صدره . وقال بصوت أقرب الى الهمس :

— نعم . . اثنتان . . وقد قتل برايسون باحداهما كما سمعت . . لاريب انك علمت بمقتله لأنه كان جارك ؟ .

ولم يحاول وايتفورد اخفاء ارتياحه لحالة زائره . . فابتسم . ثم وضع قدحه فوق المنضدة قال : نعم . . ترجع صداقتى ومستر برايسون الى عشرين سنة خلت . . وأناصاحب هذين المنزلين . وكان برايسون يقيم فى المنزل المجاور كأى ساكن عادى . .

وسقط رأس لوبين فوق رأسه تماما . . وبدا كأنه راح فى سبات عميق .

وظل السكون مستتبا فى الغرفة بضع لحظات . . وما لبث لوبين ان سمع مضيفه يغرق فى الضحك . . وشعر به يتقدم منه . . وخيل اليه انه يحدق فى وجهه بنظراته النفاذة .

وتحرك مبتعدا عن لوبين . . ففتح هذا احدى عينيه قليلا . . فرأى وايتفورد ينظر الى المدفأة باهتمام . . وقد تقلصت سحنته بحالة تلقى الذعر فى القلوب .

وغمغم وايتفورد : اثنان . . هى . ثم هو . . انهما واقفان على شىء ما . . لكن ماهو؟ لست أعلم . . ماذا أصنع ؟ آه ! . هناك سبيل واحد فقط .

وتحول وايتفورد الى لوبين . فاغلق هذا عينيه . . واستطرد رب الدار :

— نائم ؟ ! سوف تنام وقتا طويلا ياصديقى . . نعم . . وقتا طويلا جدا .

ثم هرول من الغرفة بعد أن اطفأ النور . . فتمهل لوبين قليلا . ثم تبعه على عجل

سمع ارسين لوبين صوت وايتفورد وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة عند صعوده الدرج الى الطابق العلوى فايقن انه قد اعتزم أمراً .

وسار فى أثره الى الطابق العلوى . . ورآه يفتح بابا . . فراح يسترق النظر من خصاصه وكان رب الدار قد أضاء النور فاستطاع لوبين ان يرى منظراً ، ولو انه كان يتوقع رؤيته ، الا انه لم يتمالك نفسه من الجزع .

رأى شرمين آمبرسى ممددة فوق اريكة عتيقة . وقد تمزقت ثيابها ، وتبعثر شعرها فوق وجهها . . وكانت نائمة . . فأيقن لوبين انها مخدرة

ووقف وايتفورد يراقب الفتاة هنيهة . . وقد تألقت فى عينيه نظرة تدل على انه اعتزم أمرا . . انه سيرتكب جريمة . . أو بعبارة أصح جريمتين .

وهز الكهل كتفيه ، ثم مال فوق الفتاة ، وحملها بين ساعديه كالطفلة . . وتحول نحو الباب . . فاسرع لوبين عائدا أدراجه واختفى فى الظلام .

وهبط وايتفورد الدرج ، وهو مطمئن ضد المفاجآت . ثم نفذ الى الغرفة التى ترك لوبين فيها نائما . . ولما كانت معتمة فقد سرى عن لوبين مؤقتا . ومع انه لم يستطع أن يرى شيئا إلا أن وقع اقدام وايتفورد كان يدل على اتجاه سيره .

وفجأة . ساد الصمت الغرفة . كأنما تبخر الكهل والفتاة . . وما لبث أن مزق السكون رنين جرس حاد . وعندئذ سمع لوبين وقع أقدام فى الغرفة . فهرول الى أقرب ركن والتصق به وسمع صوت وايتفورد وهو يقول : حسنا . . ليس ثم ما يدعو الى الخوف .

ودق جرس الباب مرة أخرى . . وفى اللحظة التالية غمر الضوء الغرفة . . ورأى لوبين رب الدار وهو ينصرف من الغرفة وهو فى طريقه الى الباب العام دون ان يتلفت هنا أو هناك ومرت اللحظات . . وما لبث لوبين ان سمع أصواتا فى الردهة .. وفى التو عرف صوت القادم . قال الصوت المألوف : كان أحد رجالى يراقب هذا الشارع . . واتصل بى تليفونيا منذ قليل وأخبرنى انه رأى شخصا يتسلل الى هذا المنزل . فاقبلت على عجل .

كان موقف لوبين حرجا جدا .. ولكنه لم يضطرب أو يفكر فى الخروج

واقترب القادمان من الغرفة .. وقال رب الدار : نعم . . لقد اقتحم رجل تعس منزلى . . كان يبدو مريضا . شديد الاجهاد . فاشفقت عليه . ولم أسلمه للبوليس . . وقد قدمت له قدحا من الشاى .. و . . وأمسك فجأة . وراح يحدق بعينين جاحظتين فى المقعد الشاغر الذى كان لوبين ممددا فوقه .. بينما أخذ المفتش سمرز (وكان هو القادم) ينظر الى رب الدار متسائلا . ولم يكن أحدهما قد تطلع حتى تلك اللحظة نحو الركن الذى التصق به لوبين وغمغم وايتفورد : هذا عجيب ! لقد تركته نائما فوق هذا المقعد . . يالله ! وتطلع لوبين الى سمرز . فألفاه يعض على ناجذيه .. وأدرك ان وقت العمل قد حان . فبرز من مخبئه . وتقدم من الرجلين بهدوء . فحدق وايتفورد فى وجهه مبهوتا ، وأما سمرز فقد نظر اليه فى مزيج من الدهشة والارتياح . وصاح :

— بديع ! بديع ! هذا ولا ريب أرسين لوبين ! فصاح رب الدار مصعوقا :

— أرسين .. لوبين ! وبحركة سريعة أخرج سمرز مسدسه من جيبه ، وصوبه الى لوبين . وقال : لقد سخرت منى ليلة أمس ، وأفلت من يدى بحيلة جهنمية . ولكنك لن تفلت منى اليوم .

فعقد لوبين ساعديه فوق صدره . وقال برفق : قد يكون فى استطاعتنا أن نتبادل حديثا خاصا بعد ان يتكرم مستر وايتفورد باعداد الشاى المألوف ، لكنى اقترح ان تسأله أولا ماذا صنع بالآنسة شرمين آمبرسى فابتسم وايتفورد ابتسامة ساخرة ، وغمغم سمرز :

— صنع بمن ؟ — بالآنسة آمبرسى ، لقد نقلها منذ فترة قليلة من غرفة بالطابق العلوى . وكانت فاقدة الرشد لكثرة ماجرعت من الشاى ، وجاء بها الى هذه الغرفة . ولما سطع الضوء فى الغرفة رأيت مستر وايتفورد وحده ، فهل لك ان تسأله ايضاح هذه المعضلة ؟

فغمغم وايتفورد : يالها من قصة عجيبة !! وعض سمرز على شفته ، وتلفت حوله ، وعندئذ ألقى لوبين بهذه القنبلة : وبوسعك أيضا ان تسأله لماذا قتل تيودور برايسون ؟

فتراجع وايتفورد الى الخلف مصعوقا ، وترنح من هول المفاجأة . ولكنه مالبث ان سيطر على أعصابه ، واسترد ثباته ولكن لم تغب حركاته كلها عن عينى سمرز اليقظتين

قال المفتش للوبين : انك تحاول عبثا ان تحول اهتمامى عنك ، هل من شىء آخر تقوله ، مهما يكن من أمر فسوف أتحدث الى مستر وايتفورد بعد ان أفرغ منك . ولو انى اعتقد ألا فائدة من هذا الحديث . فقد اتصلت به عقب مصرع برايسون مباشرة بوصفه صاحب المنزل الذى وقع فيه الحادث وأخرج المفتش من جيبه قيدا حديديا . فأدرك لوبين ان اللحظة الدقيقة قد دنت . وانه لو نجح المفتش فى تقييده لضاع كل شىء ، ولو حاول الفرار لأطلق عليه سمرز النار دون تردد فقال بلهجة تنم عن الصدق : أقسم ان الآنسة آمبرسى كانت فى هذه الغرفة منذ أقل من عشر دقائق . . ومن المحتمل انها تعالج سكرات الموت فى هذه اللحظة . بل من يدرى ، لعلها ماتت فعلا . وانى أقترح أن تقوم بتفتيش المنزل فى التو .

فقال سمرز ساخرا : بالطبع .. ولكن ماذا ستصنع أنت فى تلك الاثناء ؟

فابتسم لوبين . وأجاب : ان الوقت لا يتسع للنقاش الآن . . ولكنى سألقى عليك سؤالا أرجو أن تجيبنى عنه بصراحة .. هل سبق أن أخلف أرسين وعدا ؟

فقال المفتش مفكرا : كلا . وانى أشهد له بذلك .

— حسنا .. أقسم لك بشرفى انى لن أتحرك من مكانى حتى تقتنع باننى لم أقل غير الصدق لقد كانت الآنسة آمبرسى هنا منذ فترة وجيزة .

فبدا التردد على سمرز . فقد لاحظ اضطراب وايتفورد وجزعه عندما اتهمه لوبين بقتل برايسون .. ولما كان من المحتمل أن يكون الاتهام صحيحا ، فان من واجبه (أى واجب سمرز) أن يفتش المنزل فى الحال . . ولكنه فى الوقت ذاته لا يريد أن يفلت الفرصة من يده .

ويترك لوبين يلوذ بالفرار . ولاحظ وايتفورد تردد المفتش ، فقال ببساطة :

— أرجو أن تقوم بتفتيش المنزل تفتيشا دقيقا ياسيدى . بل انى أصر على ذلك . فقد وجه الى هذا الشخص الذى تدعوه ارسين لوبين اتهاما خطيرا .

كان يتكلم بلهجة أحدث أثرها فى نفس سمرز . . ولم يدر ماذا يصنع أيفتش المنزل ، أم يؤجل التفتيش الى فرصة أخرى . أى بعد أن يفرغ من ارسين لوبين ؟

وأخيرا قال : حسنا . . سأقوم بتفتيش المنزل ، ولكنى لن أجازف بالفرصة المؤكدة للقبض عليك بعد أن خبرت أساليبك الجهنمية . . أرجو أن تصفح عما سأقدم عليه يامستر وايتفورد . . ولكن للضرورة حكمها . سأقيد احدى يديك بيد لوبين لاستوثق من أنه لن يتمكن من الهرب اثناء تفتيشى . . فهل لديك اعتراض على هذا ؟

فصاح رب الدار بحماسة وهو يبسط يده للمفتش : كلا . . انها فكرة رائعة .

وفى التو ، قيد سمرز احد معصمى وايتفورد . ثم أشار الى لوبين ليتقدم وهو يهدده بمسدسه . وشد ما كانت دهشة المفتش حين رأى لوبين يقبل عليه مبتسما

وعندما كان سمرز يضع القيد فى يده أتى لوبين بحركة خفيفة سريعة لم يلاحظها المفتش

واطمأن سمرز الى خطته . . ووضع مسدسه فى جيبه . . ثم جفف العرق الذى تصبب على جبينه . قال لوبين بلهجة رقيقة : أرجوك أن تسرع . . ولا تنس انك مادمت قد قيدتنى . فانى فى حل من الوعد الذى قطعته على نفسى — أى وعد ؟

— ان أظل هنا حتى تعثر على أثر الآنسة جرمين آمبرس .

فحدق سمرز فى وجهه مشدوها . . وصاح بحدة : ماذا تقول ؟

وانفجر ضاحكا كما لو كان قد سمع ملحة طريفة وقال : لا بأس بوعدك . . ولكن القيد أكثر ضمانا وأدعى الى الاطمئنان . . انك لن . .

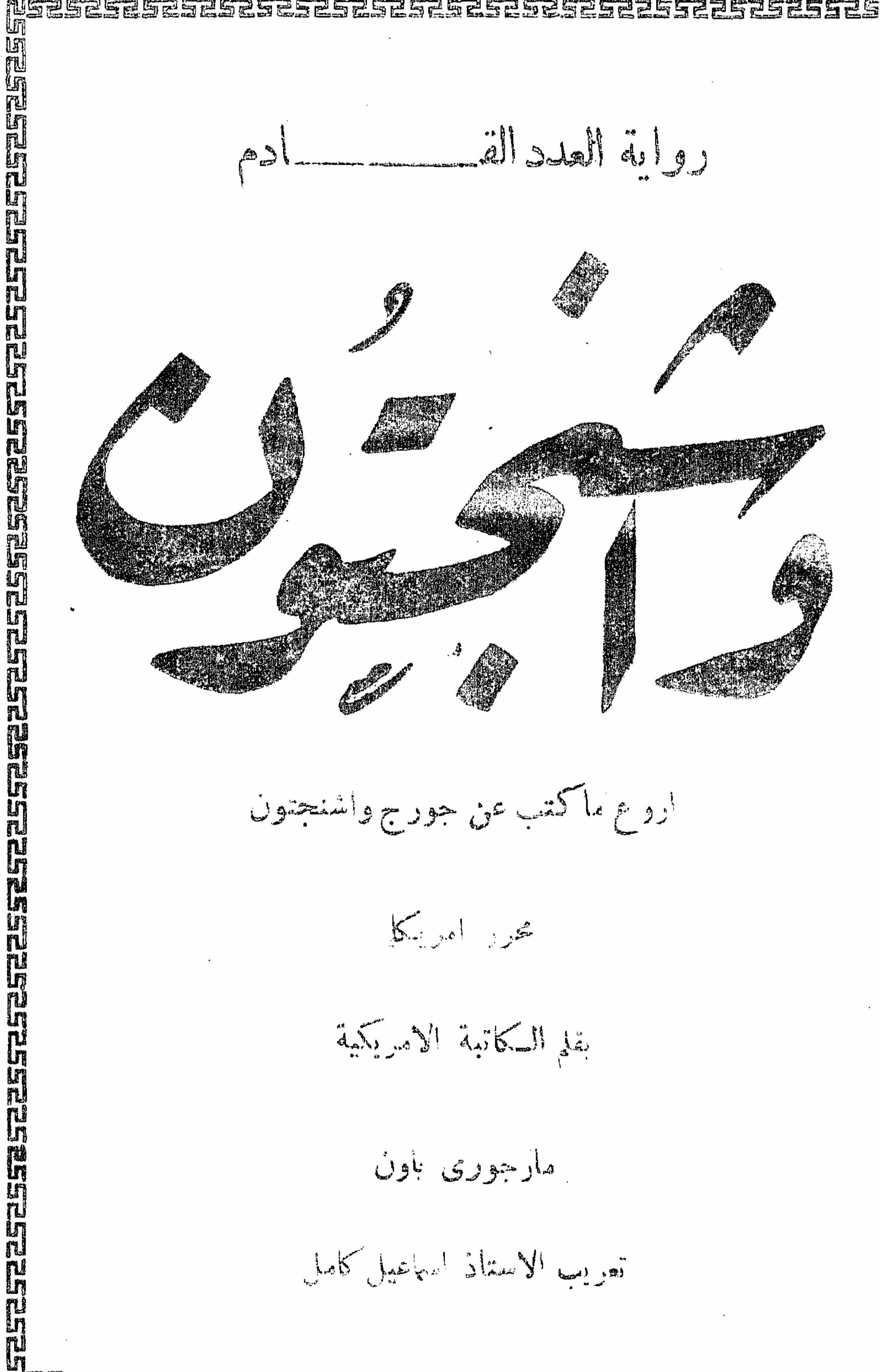
وبتر عبارته فجأة . . واعتدل فى وقفته . . ثم أصاخ السمع وراقبه لوبين هنيهة . ثم دفع رأسه الى الخلف . . وأنصت . . وما لبث ان سمع طرقا مكتوما متواصلا

وتقدم سمرز من المدفأة بخطى بطيئة . وقد ارتسمت على وجهه علامات الاهتمام الشديد . . ولكنه كان يتأمل وجه وايتفورد من ركن عينه . فلاحظ ان الرجل قد فر لونه . . وكاد يفقد وعيه وركع المفتش أمام المدفأة . . فاخذ وايتفورد يتلفت حوله شأن الجرذ حين يقع فى المصيدة . وراح يعالج القيد فى يده ولكن على غير جدوى

وأخذ سمرز يطرق إطار المدفأة بمؤخرة مسدسه . فقال لوبين لزميله الأسير :

— هدىء من روعك يامستر وايتفورد . . إذ من العبث ان تحاول الفرار

فتاوه الكهل . . ومضى سمرز فى عمله باهتمام . . ومرت عشر دقائق . فربع ساعة . فعشرون دقيقة وهو منصرف الى عمله باهتمام ودقة . . وما لبث ان بدرت من فمه صيحة تنطوى على الظفر . . والقى بمسدسه فوق الأرض . . وراح يجرى باصابعه فوق حافة الاطار



رواية العدد القـــــادم

واشنجتون

اروع ما كتب عن جورج واشنجتون

محرر امريكا

بقلم الكاتبة الامريكية

مارجورى باون

تعريب الاستاذ اسماعيل كامل

وأفلتت من شفتى وايتفورد صرخة ضعيفة . . وانتفض بشدة . . ولكن لوبين لم يكترث له . اذ كان منصرفا الى التحديق فى المدفاة . . وما لبث ان رآها تتحرك من مكانها الى الخارج . ومن خلفها فرجة تتسع لمرور رجل ونهض سمرز واقفا . . ونظر الى الفجوة باهتمام . . ثم تقدم وراح يهبط درجا فى جوفها حتى غاب عن الأنظار

وبعد خمس دقائق عاد سمرز من المخبأ السرى وهو يحمل الآنسة شرمين آمبرسى بين ذراعيه . . ثم وضعها برفق فوق المقعد الذى شغله ارسين لوبين عند زيارته للمنزل

وسمع سمرز آهة . . فتلفت حوله . . وما لبث ان جحظت عيناه . واستولى عليه الذهول رأى وايتفورد جالساً فوق الأرض . وظهره الى الجدار . وحول يده أحد جزأى القيد ، وأما الجزء الآخر فكان ملتفا حول احدى قواعد المقعد

وتلفت سمرز حوله باحثا عن أرسين لوبين . . ولكنه لم يجد له أثراً .

الخاتمة

التقى ماونى ديلى بصديقه المفتش سمرز ظهر اليوم التالى فى مطعمهما المعهود .

قال الاول فى معرض الحديث : حظ عاثر ياصديقى ! اذن فقد هرب منك أرسين لوبين بعد ان قيدت يده الى يد وايتفورد ؟ حقا . . انى لشديد الدهشة ! لكن حدثنى أولا عن برايسون . . فانك ولا شك تشعر بان القصة قد استحوذت على اهتمامى منذ بدايتها

فاومأ سمرز برأسه باكتئاب . . وقال متصنعا المرح : كان برايسون يعانى حمى الذهب الحادة . وقد زاد ولعه به أثناء رحلاته . . واستطاع ان يجمع منه ثروة ضخمة . . وكان لا يهدأ له بال الا اذا كوم الذهب أمامه . . ولا يفكر الا فى الذهب . . ويراه فى نومه . . ولا يتحدث الا عنه . . بل لعله كان يأكله لو وثق من ان معدته ستهضمه

ومنذ عدة أعوام ، عاد برايسون الى الوطن . . وأقام فى أحد منازل وايتفورد . . ويبدو ان الرجلين كانا قد تقابلا خارج المملكة . . فتصادقا . . بل لعلهما كانا من أشد الاصدقاء ارتباطا . . وكان برايسون قد جلب معه كمية من الذهب لم يستبدلها بنقود . . وقد أراد ان يحتفظ بها على مقربة منه ليتمتع بها ناظريه كلما استبد به الحنين الى الذهب . . ولكن الاحتفاظ بكمية كبيرة منه فى المنزل أمر خطير لاتؤمن مغبته . . وفعلا قضى برايسون ردحا طويلا من الزمن وهو فى خوف دائم من سطو اللصوص على منزله .

وأخيرا صارح وايتفورد بمخاوفه . . ولست أعلم أيهما كان صاحب الفكرة . ولكنهما على كل حال قررا فيما بينهما ان الفراغ الواقع أسفل المدفأة هو خير مخبأ يمكن وضع الذهب فيه . . ومن ثم استدعيا بناء كان صديقا لوايتفورد يمكن الاطمئنان الى صمته مادام سينقد أجره بسخاء . . ولما كانت المدفأة فى منزل برايسون مواجهة تماما لتلك التى فى منزل وايتفورد وكلتاهما مقامة فوق محور مستدير . فقد حفرا أسفلها حفرة فى الجدارين طولها حوالى خمسة

أقدام . وعمقها عشرة ووضع برايسون ذهبه فى هذه الحفرة . . وقد نجم عن فتح هذه الفجوة ان أصبح الاتصال بين المنزلين ممكنا . ولو ان ذلك لم يكن مرمى برايسون فى البداية . . ولـكنى أعتقد ان وايتفورد هو الذى حمل صديقه البناء على وصل قاعدتى المدفأتين

فقال ديل : لاريب ان برايسون كان يثق بوايتفورد ثقة عمياء

— أوه ! ان وايتفورد شيطان خطر يستطيع ان يرغم الناس على الثقة به والاطمئنان اليه .. على كل حال . انه لم يشأ ان يسطو على ذهب برايسون مباشرة خوفا من افتضاح أمره فقنع فى البداية بأن يكون مستشار برايسون المالى .. وأخذ يبتز نقوده بطريقة احتيالية مدهشة كأن يحثه على شراء صفقات خاسرة . أو مشكوك فيها . وهكذا بدأت ثروة برايسون تتقلص واستمر الحال على ذلك زهاء عشرة أعوام .. وكان برايسون يضطر بين الآونة والأخرى الى بيع جزء من ذهبه وراح الـكنز المخبأ أسفل المدفأة ينكمش بمرور الايام حتى أدرك أنه أصبح على شفا الافلاس .. فاحدث ذلك تأثيرا سيئا فى نفسه . . وعول على الانتحار

— بالرصاصة الذهبية ؟

— نعم . فقد كان حب الذهب مسيطرا على عقله الى أقصى الحدود . ومن ثم خطر له ان ينتحر برصاصة من ذهب .. وعندما صارح وايتفورد برغبته هزأ منه ، وضحك ملء شدقيه ويبدو ان وايتفورد انذعر حين سمع بنوايا برايسون ، وخشى ان يكون (صديقه) ! قد اكتشف حيلته . . فيصب عليه جام سخطه قبل ان ينتحر .

وكان برايسون يحتفظ بمسدس حشاه بالرصاصتين الذهبيتين فى درج مكتبه . . وصارح وايتفورد ذات يوم بانه سينتحر بهذا المسدس ، ومن المحتمل ايضا انه أفضى الى صديقين أو ثلاثة بنيته .. ووجد وايتفورد ان الفرصة سانحة للتخلص من برايسون قبل ان يتعقد الموقف ومن ثم عول على قتله بنفس المسدس الذى اعتزم برايسون الانتحار به ، ورسم خطة محكمة كى يبدو الحادث كأنه انتحار . أو كأن شخصا آخر غيره هو الذى ارتكب الجريمة .

وواتته الفرصة منذ ثلاثة أيام . عندما صرح له برايسون انه يتوقع زيارة متأخرة . . وأشعرت لهجة برايسون ان علاقته بالقادم ليست على مايرام ، ومن ثم بيت العزم على انفاذ خطته

وقد قرر وايتفورد فى اعترافه الـكتابى اليوم . انه اجتاز الممر السرى الى منزل برايسون حوالى الساعة الثانية صباحا . وكان برايسون نائما فوق المقعد الذى وجد مقتولا فوقه ، ولما كان وايتفورد يعلم ان المسدس موضوع فى درج منضدة قريبة . فقد أخرجه بهدوء وحذر . ثم سدده الى رأس برايسون وهو يعتزم إصابته فى مخه . . ولـكن برايسون تململ فى اللحظة التى ضغط فيها وايتفورد الزناد .. فاصابه المقذوف فى عنقه . ثم اصطدم بالجدار وسقط فوق الأرض على قيد بضعة اقدام من مقعد برايسون .

ولـكن النتيجة كانت واحدة بالطبع . . فان الدم راح ينزف من الجرح وفارقته الحياة فى غضون دقائق معدودات . . ويبدو ان وايتفورد كان مطمئنا الى ان القاضى سيصدر

حكمه باعتبار الحادث انتحارا . أو ان تكتشف الريبة الزائر الذي سباق الى منزل برايسون في ساعة متاخرة من الليل . . وفي كلتا الحالتين سيكون هو — أي وايتفورد — بمنجاة من الريبة

فقال ديل : لاريب ان الزائر المتاخر لم يكن غير الآنسة آمبرسي ؟

فاوما سمرز برأسه . . وأجاب : نعم . . هي فتاة ظريفة ياديل . . ولكنها تعمل أولا . . ثم تفكر بعد ذلك . . وهكذا كان تصرفها ليلة الحادث . — ماذا حدث بالدقة ؟

فضحك سمرز . . وقال : ان معظم النار من مستصغر الشرر كما تعلم . . وهذا المثل يتمثل في أغلب مآسي الحياة . فان أسبابها تنبني على عمل طائش تافه . وهكذا كان الحال في هذه المأساة كان هناك رجل يدعى روى برين . . وهو قريب بعيد لبرايسون . وكان شابا ظريفا . ولكنه سريع الانفعال . . ويشاء الحظ العاثر ان يظفر هذا الشاب بموافقة شرمين آمبرسي على الاقتران به . . وكان برايسون يحب قريبه . . إلا أن خلافا نشب بينهما جعل حياتهما لاتطاق . . أما ماهو هذا الخلاف . فلا أعلمه . وفوق ذلك فانه لايهمنا في القضية الحالية . . بيد ان الآنسة شرمين صممت على التدخل بين الرجلين لتصلح ذات البين . . ومن ثم اتصلت تليفونيا ببرايسون . وطلبت اليه ان تحدثه في شان سوء التفاهم الذي شجر بينه وبين خطيبها . ولكن برايسون رفض أن يصغي اليها بادىء الأمر . ولكنه وافق أخيرا على استقبالها في منزله . . وضرب لذلك موعدا ليلة وقوع الجريمة

فسال ديل : لكن لماذا ضرب الموعد في هذه الساعة المتاخرة ؟

— كان آل آمبرسي يقيمون حفلة راقصة في تلك الليلة في منزلهم . ولم يكن في استطاعة الفتاة أن تغادر المنزل قبل انتهاء الحفلة . . وقد أرادت فعلا أن تحدد الموعد في ليلة أخرى . ولكن برايسون غضب وأصر على رأيه وإلا فلن يقابلها .

وجاءت شرمين في الموعد المضروب . . ودقت الجرس . ولكنها لم تتلق ردا . وأخيرا استولى عليها القلق . وحينئذ تذكرت أنها تحمل مفتاح الباب في حقيبتها

— في حقيبتها ؟ ! وكيف ذلك ؟

— كان روى يحتفظ بالمفتاح مدة عام . ولكن عندما شجر الخلاف بينه وبين برايسون أقنعته شرمين بان يعطيها المفتاح لتحتفظ به . . ولعلها كانت تقصد الى أن تعود المياه الى مجاريها بين الرجلين . صفوة القول أن شرمين فتحت الباب بهذا المفتاح ودخلت المنزل . . وما كادت ترى برايسون مقتولا . حتى تبادر الى ذهنها أن روى سبقها الى زيارة قريبه . واحتدم بينهما الجدال . فقتله في ثورة الغضب

ولكن روى كان خارج المدينة منذ أسبوع أو اكثر قليلا ولم يكن قد عاد بعد بيد أن الفكرة التي اختمرت في رأس الفتاة ، هي أن روى قتل برايسون .

فرفع ديل حاجبيه . وقال متسائلا : وما الذي حملها على هذا الاعتقاد ؟

— كان روى أحد الاشخاص القلائل الذين أفضى اليهم برايسون بانه يعتزم الانتحار

برصاصة ذهبية . وقد تقبل روى هذه الحقيقة على انها مزحة . . بيد أنه انهى الى خطيبته بانه من المحتمل أن يعثر على برايسون مقتولا برصاصة ذهبية ذات يوم فى منزله . ولم تفكر الفتاة فى الأمر طويلا وقتئذ . . ولكنها لم تكد ترى برايسون مقتولا فى مقعده والرصاصة الذهبية ملقاة فوق الأرض . حتى تذكرت قصة روى . . وعندئذ تبادر الى ذهنها أن خطيبها كان يقصد ما يقول . ويعتزم قتل برايسون لما بينهما من سوء تفاهم مستحكم

ولم تدر الفتاة ماذا تصنع وهى فى غرفة برايسون ، وأدركت انه لو كان روى قد صارح غيرها بما صارحها به اذن لكانت الرصاصة الذهبية دليلا قاطعا على ادانته . . وبغير تفكير التقطت الرصاصة . . ولفتها بقطعة من الورق . ثم وضعتها فى حقيبتها ، وغادرت المنزل على عجل . فلما وصلت الى منزلها . . القت الرصاصة فى الوعاء الخزفى .

وعولت على ان تلتزم جانب الهدوء حتى تلتقى بروى ، ولكن روى كان خارج المدينة . فساء بذلك الموقف . ولو تركتها وشأنها لما حدث شيء . . ولكنى ارتبت فى تصرفاتها . . ومن ثم عولت على الوقوف على الحقيقة . . وكان هذا هو السبب الذى حملنى على أن أبعث بها الى منزل برايسون بعد ان أدخلت فى روعها انى عالم بسرها .

فلما قبض عليها وايقفورد هناك كان يظن انها تعرف سر الممر السرى .. وتبادر اليه ان سره قد انكشف . فتولاه القنوط . وعول على التخلص من الفتاة . وكان من المحتمل ان يتركها حتى تهلك جوعا . أو تختنق فى الجحر المحفور أسفل المدفأة . لولاك . أعنى لولا ان لوبين تدخل فى الوقت المناسب

فتظاهر ديل بانه لم يلاحظ هفوته . وسألى :

— وماذا حدث للرصاصة الذهبية ؟

فحدجه سمرز بنظرة نفاذة . وهتف : انها على كل حال لم تعد ذات أهمية الآن . ولكن الآنسة آمبرسى اتصلت بى تليفونيا صباح اليوم وقالت انها عثرت على الرصاصة فى جوف الوعاء الخزفى السرى . حيث وضعتها أولا .

فقال ديل : يا للعجب ! .

— ولا شك ان أرسين لوبين قد تسلل الى منزل مستر آمبرسى ليلة أمس .. وأعاد الرصاصة الى مكانها

وأطال سمرز النظر الى وجه ديل . واستطرد : هناك أمر آخر شديد الغرابة . وذلك هو كيف تخلص أرسين لوبين من القيد ليلة أمس ؟ بيد انى تذكرته فيما بعد انى عندما كنت أحاول وضع القيد فى يده .. شعرت بحركة سريعة خاطفة فى جيبى . بيد انى عزوتها فى تلك اللحظة الى الوهم .. ولكننى أدركت عند ما اكتشفت فرار لوبين أنها كانت يده .. وانه سرق مفتاح القيد من هذا الجيب . وبذلك استطاع ان يتخلص منه عند ما كنت أحاول اخراج الآنسة آمبرسى من المخبأ السرى . لكنى أعجب كيف عرف لوبين انى أحتفظ بمفتاح القيد فى هذا الجيب بالذات ؟

فتظاهر ديل بالحيرة .. وقال :

— طبيعى ان يكون جيب الصديرية هو أسلم مكان للاحتفاظ بمثل هذا المفتاح .

— بالطبع .. ولو انى اعتدت ان أحتفظ بهذا المفتاح فى سلسلة الساعة . ولكن السلسلة تحطمت فى الأسبوع الماضى مع الأسف . فاضطررت الى وضع المفتاح فى جيب الصديرية .. آه ! ألم تكن معى يوم ذهبت للصائغ وأعطيته السلسلة لاصلاحها ؟

فقال ديل ببساطة :

— نعم .. أظن ذلك

— وقد رأيتنى وأنا أضع مفتاح القيد فى جيب صديريتى

فتألقت عينا ديل .. ونظر اليه ساخرا .. وقال :

— مما يؤسف له أننى ضعيف الذاكرة .. هل لك فى تدخين احدى هذه اللفائف ياسمرز ؟ !

(تمت)